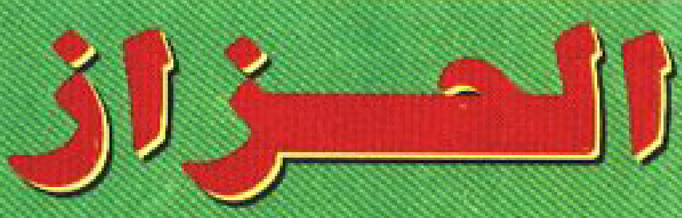
روايات عالمية للجيب
26

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



قصة : جون ويندهام
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

(جون ويندهام) هو كاتب من كتاب الخيال العلمى المرموقين ..

مولود فى انجلترا عام ١٩٠٣ ، وعاش فى (برمنجهام) حتى عام ١٩١١ ثم انتقل إلى (بيدلز) عام ١٩١٨ .. وامتهن الكثير من الأعمال ، بما فيها الفلاحة والقانون والدعاية والإعلان ، ولم يبدأ كتابة القصص القصيرة بغرض الكسب إلا عام ١٩٢٥

كتب عددًا كبيرًا من القصص بعضها بوليسى ، حتى نشبت الحرب العالمية الثانية .. فصار جنديًا فى الدفاع المدنى ..

وبعد الحرب أزمع (ويندهام) أن يكرس قلمه لذلك الفن المسمى بـ (الخيال العلمى) ، وقدم لنا أعمالاً حازت شهرة لا بأس بها :

- يوم الأشجار : عن مستقبل كابوسى تحكم فيه الأشجار العملاقة الأرض .

• صحوة الكراكين : عن قوى الشرّ التى تتحرك من مكمنها فى أعماق البحر .. وعنوان القصة مأخوذ من قصيدة لـ (تنيسون) .

• بذور الزمن : عشر قصص مثيرة فريدة فى طرازها .

• طيور وقواق (ميدويتش) : قدمت فى فيلم اسمه (قرية الملاعين) .

• تشوكى : قصة عن صبى يُدعى (ماتيوز) يعيش علاقة متوترة مع صبى فى خياله يُدعى (تشوكى) .. وسرعان ما تتحول العلاقة إلى شىء مخيف .

• مشكلة مع الحزّاز : وهى القصة التى نقدمها لك اليوم ، وقد كتبها عام ١٩٦٠ .

سنترك لك الرواية والحكم عليها .. لكن ـ قبل أن نفترق ـ نقول إن المؤلف توفى فى (مارس) ١٩٦٩ ، بعد ما أضاف الكثير إلى أدب الخيال العلمى .. وإن كنت لم تسمع باسمه من قبل فلن تنساه بعد قراءة هذه الرواية .

د. أحمد خالد

★ ★ ★

كان الوداع جميلاً ..

الجوقة كلها ترتدى اللون الأبيض ، وتنشد بشجن مرهف كأنما هى أحزان الملائكة .. وحين انتهى الغناء ساد الصمت المطبق فى الكنيسة المزدحمة ، وفى الهواء انتشر عبق آلاف الأزهار يتموج فى عذوبة .

فوق التابوت كان هرم صغير من الزهور .. بينما وقف الحرس فى جوانب المكان بثيابهم الرسمية المصنوعة من حرير أرجوانى ، واعتمروا قبعات ذهبية على الرءوس ، ووقفوا كأنهم منحوتون ..

اجتاز الأشبين المكان فى صمت .. ليصعد الدرجات الأربع إلى المنبر المنخفض ، وبرفق وضع كتاب الصلوات أمامه .. وقال :

ـ « أختنا الحبيبة (ديانا) .. عملها الذى لم يتم والذى لن تتمه أبدًا .. سخرية القدر ليست عبارة لائقة .. التسمية الصحيحة هى إرادة الربّ .. الربّ يعطى ويأخذ .. ولو أخذ منّا شجرة الزيتون فهو من منحنا ثمارها الناضجة .. وعلينا أن نقبل ... وعاء لإرادته .. مخلصة لأهدافها .. غيرت تاريخ البشرية .. خادمتك (ديانا) .. »

وتلاقت أعين الجمع .. آلاف النساء وعدد لا حصر له من الرجال ، ينظرون إلى النعش .. بضع زهور سقطت فوق الجثمان .. ثم انغلق الغطاء ، وبدأ الأرغن يعزف بنعومة ، وأصوات الجوقة تعلو ..

وانزاحت الستائر عن جانبى التابوت ..

تعالى صوت النشيج مع حفيف المناديل الورقية الصغيرة ..

وابتعدت (زيفانى) و(ريتشارد) عن أبيها .. كان قد صار على بعد بضعة أمتار خلفها .. هناك حيث وقف النساء حوله فبدا أطول من حقيقته .. ووجهه الوسيم لا يدل على تعبير ما .. بدا مرهقًا لا أكثر ، غير شاعر بما يدور حوله ..

وفى الخارج كانت هناك مئات من النسوة ممن لم يستطعن دخول الكنيسة .. كانت عبراتهن تنهمر ، وقد وضعن الزهور التى أحضرنها كبساط أبيض على جانبى الباب ..

وكان هناك رجل يحمل باقة من زهور السوسن تم ربطها بشريط من الحرير الأسود ..

وفوق الحصى مشت (زيفانى) تبغى لقاء

(ريتشارد) بعيدًا عن الزحام .. كانت عيناها دامعتين ولكن ـ برغم ذلك ـ تلاعبت بسمة ما على شفتيها ، وقالت :

ـ « يا لـ (ديانا) العزيزة ! فكر كم كان هذا سيسليها .. » .

ومسحت عينيها بمنديلها .. وقالت :

ـ « تعال لنجد أبى ونخرجه من هنا .. »

لكنها كانت جنازة جميلة ..

★ ★ ★

وفى جريدة (نيوزركورد) جاء التالى :

ـ « احتشدت نساء من جميع الطبقات ومن كل أرجاء (بريطانيا) كى يعبرن عن احترامهن الأخير ، ووصلت أخريات فى الفجر كى يلحقن باللواتى عسكرن طيلة الليل خارج المقبرة .

« وفى النهاية وصل الموكب المحاط بالزهور ، واندفع زحام الناس عبر صفوف رجال الشرطة ، وانهمرت الدموع من عيون المحتشدين الذين علا صوت نشيجهم .

« ولم تر (لندن) هذه العلاقة الحميمة بين امرأة وامرأة أخرى قط »

وبما أن جريدة (نيوزركورد) كانت تهتم دومًا بالتأكد من أن قراءها يفهمون المكتوب ؛ فقد كتبت ملحوظة للتفسير :

• نشيج : بكاء .

★ ★ ★

الجزء الأول

ـ ١ ـ

تم إخلاء القاعة ، ووضع أحدهم بعض النباتات دائمة الخضرة هنا وهناك ، وخطر لأحدهم أن بعض الزينة قد تجلب السرور فى المكان ..

وفى ركن المكان تم رصّ الموائد جنبًا إلى جنب .. وفوقها مفرش أبيض وضعت عليه أطباق الشطائر والكعك وأقداح عصير الليمون والبرتقال ومزهريات الورود ..

فى الواقع بدت القاعة كلوحة متحركة ..

كان هذا هو حفل نهاية الصف الدراسى لمدرسة (سانت ميرين) الثانوية . ووقفت مس (بنبو) مدرسة الرياضيات تصغى لـ (أوروراتريج) تثرثر عن ذكاء كلبها الخارق ، بينما عيناها ـ عينا مس (بنبو) ـ تجوّلان فى المكان بحثًا عمن يجب أن تتحدث معهم خلال الأمسية ..

وفى نهاية القاعة وقفت (ديانا براكلى) وحدها ..

انتهزت مس (بنبو) لحظة توقف فى حديث مس (تريج) الذى لا ينقطع ؛ كى تعتذر لتنسحب ..

وعبرت القاعة متجهة نحو (ديانا) وهى ترمقها كأنما لم ترها من قبل .. لم تعد (ديانا) طالبة كالتى تعرفها لكنها صارت حسناء ناضجة .

كانت ترتدى ثوبًا أزرق سماويًا لا يمكنك ملاحظته ما لم تدقق فيه .. ولم يكن غالى الثمن .. مس (بنبو) متأكدة من ذلك .. لكن كان هناك نوع من الذوق فيه .. إن (ديانا) تملك موهبة تذوق الثياب ، وهذا يجعل الثوب ذا الجنيهات الثلاثة يبدو كأنما هو بعشرين ..

ولشد ما احترمت مس (بنبو) هذه الموهبة ..

إن (ديانا) ليست جميلة .. لكن الجميلات يشبهن زهور (مايو) .. كثيرات جدًا .. وما من أحد يجرؤ على أن يسمى (ديانا) جميلة ..

إنها فى الثامنة عشرة من عمرها .. طويلة .. نحيلة .. سوداء الشعر .. لها أنف كلاسيكى جميل وفم مخضب بأحمر الشفاه .. فقط كمية أحمر الشفاه التى تناسب الموقف ..

لكن أهم شىء فى وجهها هو عيناها الرماديتان .. العينان اللتان يسحرك هدوؤهما وثباتهما ..

كانت مس (بنبو) تعامل (ديانا) كعقل أكثر منها كوجه جميل .. وأثار هذا الجمال الطارئ دهشتها .. لكنها سُرّت له لأن الجمال - فى المدرسة الثانوية - هو عقبة تحول بين التلميذة والنجاح الدراسى ..

وهنأت نفسها لأنها أعانت تلميذتها على النجاح .. لكن فى قرارة نفسها كانت تدرك أنها لم تعنها كثيرًا .. فـ (ديانا) - يجب الاعتراف بذلك - كانت تحتاج إلى عناية بسيطة جدًا ، فهى لا تعبأ بالإغراءات ، كأن الإغراءات لم تخلق من أجلها قط ..

كانت تنظر إلى هذه الأمور نظرة عابرة .. كمسافر مثقف يعبر بلدًا مثيرًا للاهتمام .. لا أكثر ..

لقد كافحت (ديانا) واستحقت النجاح ..

- « مساء الخير يا مس (بنبو) .. »

- « مساء الخير يا (ديانا) .. »

- « أردت أن أهنئك .. إن هذا مذهل .. كنا نعرف أنك ستفعلين ذلك .. »

- « شكرًا .. لكن هذا لم يكن بجهدى وحدى .. ولولا معونتكم لى ، وإخباركم لى بما يجب أن أفعله .. »

- « لكننا مدينون لك يا (ديانا) .. لقد حصلت بجهدك

على منحـة دراسـة جامعيـة .. وهـذا يعتبر مجـدًا للمدرسة .. ولابد أن أبويك سعيدان جدًا »

قالت (ديانا) بدرجة ما من التحفظ :

ـ « إن أبى سعيد جدًا .. فهو يحبَ فكرة دخولى (كامبريدج) ، لأنه كان يتمنى ذلك لنفسه لكنه أخفق .. وما كان ليستطيع إدخالى (كامبردج) على نفقتـه الخاصـة .. وكنت سأغدو ـ من دون تعليم جامعى ـ قطعة قرميد أخرى فى الجدار .. »

ابتسمت مس (بنبو) للتشبيه ، وقالت :

ـ « بعض قطع القرميد تؤدى عملها جيدًا .. »

ـ « طبعًا .. ولكن حين يتمنى المرء شيئًا مـا ، يغدو عمل أى شىء آخر نوعًا من الفشل .. »

سألتها مس (بنبو) :

ـ « وما رأى أمك ؟ »

نظرت لها (ديانا) بعينيها الرماديتين اللتين تريـان الأفكار ذاتها .. وقالت :

ـ « إنها فخور بنجاحى .. تحاول أن تسعد بذلك .. ولا أدرى لماذا تعتقد الأمهات أن جمال الفتاة أكـثر احترامًا من ذكائها ؟ »

قالت مس (بنبو) بحكمة :

ـ « إن عالم (الذكاء) هو كتـاب غامض بالنسبة لأكثر الأمهات ، حتى إنهن يرتبن فيه .. إنهن يعتقدن أنهن حجة فى عالم (الجمال) .. وأنهـن يفهمنـه ويمكنهن إسداء العون فيه .. » .

وافقت (ديانا) .. فأردفت مس (بنبو) :

ـ « إن الآباء يتوقعون من الأبناء أن يخضعوا النمط مفهوم لهم .. وحين تختار ابنة (ست بيت) عادية مهنة لا تفهمها أمها .. فكأنما تنتقد أمها ضمنًا .. وتقول لها : إن الحياة التى تعيشينها يا أمى لا توائمنى .. »

سألتها (ديانا) :

ـ « هل تعنين أن كل أم ترغب فى أن تفشل ابنتها فى وظيفتها ، لتثبت لها أنها كانت على حق ؟ »

ـ « لا تندفعى يا (ديانا) .. لا أعتقد ذلك .. »

ثم سألتها لتغير الجوّ :

ـ « إلى أين أنت ذاهبة فى الإجازة ؟ »

ـ « إلى (ألمانيا) .. كنت أفضل (فرنسا) .. لكن (ألمانيا) مفيدة أكثر .. »

ثرثرتا بعض الوقت ، ثم فارقتها مس (بنبـو) متمنية لها الخير فى حياتها الجامعية القادمة ..

وابتعدت بضع خطوات لتجد نفسها أمام (برندا واتكنز) .. هنأت (برندا) التى كان خاتم خطبتها الرقيق يفوق المنح الدراسية لجميع جامعات الأرض ..

ومن وراء ظهرها سمعت (ديانا) تقول لإحداهن :

- « إن كونى امرأة ولا شىء آخر يضايقنى كمهنة بلا مستقبل .. لا أمل فى الترقية .. ومن العسير قبول هذا .. »

★ ★ ★

قالت مسز (براكلى) ، وقد بدت عليها الحيرة بشأن ابنتها (ديانا) :

- « أنا لا أفهم .. من أين اكتسبتْ هذا ؟ »

قال زوجها :

- « حسن .. لم تكتسبه منى .. أحيانًا كنت أتمنى لو كان هناك بعض المخّ فى أسرتنا لكن ـ على قدر علمى ـ لم يحدث هذا قط .. على كل حال لا يهمّ من أين جاءت به .. »

- « ليس الذكاء ما أفكر فيه .. إن أباها يملك بعض المخّ حتمًا وإلا ما نجح كموثق عقود .. لكننى أتحدث عن حبها للاستقلال .. عن أسلوبها فى التساؤل الدائم عن أشياء لا تستحق تساؤلاً .. »

- « وتجد إجابات غريبة .. »

- « إنه نوع من القلق .. كل الفتيات قلقات .. لكن أمر (ديانا) غريب .. » .

قال زوجها :

- « لا فتيان .. لا مشاكل يا عزيزتى .. »

- « ربما .. لكن الأمر سيكون طبيعيًا أكثر خاصة مع جمالها .. »

- « لو أرادت أن تصادق الفتيان لاستطاعت .. كل ماعليها هو أن تتعلم كيف تقهقه ، ولا تقول أشياء تفزعهم .. لكنهم يعتقدون أنها مغرورة .. والناس يقسمون الفتيات إلى ثلاثة أنماط : الرياضية والمقهقهة والمغرورة .. ولا يعرفون نمطًا رابعًا ..

« إن مدرسيها فى المدرسة يتوقعون لها مستقبلاً (لامعًا) .. (لامعًا) هى الكلمة التى استخدموها وهى لا تعنى (طبيعيًا) بالضرورة .. »

- « من المهم بالنسبة لها أن تكون سعيدة أكثر من أن تكون لامعة .. »

قال لها :

- « معنى كلامك أن الناس غير اللامعين هم أناس سعداء .. وهذا قياس خاطئ .. »

قالت له :

ـ « إن أصغر خالاتى ـ وتدعى (آنى) ـ لم تكن على ما يُرام .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « لقد دخلت السجن عام ١٩١٢ ـ لعله ١٩١٣ ـ لأنها أطلقت ألعابًا نارية فى ميدان (بيكاديللى) .. »

ـ « ولماذا فعلت ذلك بحق السماء ؟ »

ـ « لا أدرى .. لقد ألقتْ بها بين أرجل الخيول ، وتعطل المرور تمامًا .. ثم تسلقتْ لسطح حافلة وراحت تصرخ : حق التصويت للنساء .. حتى أخذوها للسجن واحتجزوها شهرًا ..

« بعد هذا رمت قطعة قرميد من النافذة على شارع (أوكسفورد) ، و سجنت شهرين .. وحين خرجت نجحت فى إلقاء زجاجة حبرٍ على مستر (بلفور) .. ثم كادت تحرق جناحًا كاملاً فى سجن (هولواى) .. »

ـ « إنها امرأةَ مجيدةَ حقًا ـ خالتك ـ لكن ما معنى هذا ؟ »

ـ « أريد القول إن (ديانا) ورثت جنونها من خالتى .. »

قال لها :

ـ « ليس هذا الحكم من شأننا .. لكنى سعيد وفخورٌ بها .. منذ أن كانت طفلة ، كان يؤرقنى أننى لا أستطيع إرسالها لمدرسة من الدرجة الأولى .. وحين توفى والدك حسبت أننا سنغدو قادرين على إقامة أودنا .. ذهبت إلى منفذى وصيته وشرحت الأمر .. أظهروا لى أسفهم لكنهم كانوا حازمين جدًا .. سيظل إرث (ديانا) تحت الوصاية حتى تبلغ سن العشرين ، ولن يُمسَ .. لن يُنفق منه مليم واحد على تعليمها .. »

ـ « ولماذا لم تقل لى ذلك يا (هارولد) ؟ »

ـ « كان من الخطأ أن أخبرك أن أباك من القسوة بحيث لم يترك لنا شيئًا فى وصيته .. وبرغم ذلك ترك لابنتنا أربعين ألفًا من الجنيهات مقيدة فى أكثر الأعوام حرجًا لها .. لقد فعلت (ديانا) ما لم أستطع أنا عمله لها .. وما لم يفعله أبوك لها .. »

وتذكر حياته .. داره المتواضعة .. الكفاح اليومى للحصول على راتب هو أقل دائمًا من الأسعار ..

سألها :

ـ « أما زلت غير نادمة ؟ »

ابتسمت وقالت :

- « بالعكس يا عزيزى .. لست نادمة بتاتًا .. لم أكن أشعر بسعادة أكثر لو ظفرت بمنحة جامعية مجانية .. »

قال لها فى سرور وهو يقتادها لتجلس على الـ (شيزلونج) :

- « ليس كل الناس سواء يا عزيزتى .. كم واحدًا فى هذا الشارع يمكن أن يقول بلا تردد : لست نادمًا ؟ إن (ديانا) لا تشبهك ولا تشبهنى .. اللّه وحده يعلم من تشبه .. »

- « لكنها لا تعرف شيئًا عن إرثها .. أليس كذلك ؟ »

- « تعرف أن هناك مالاً .. لكنها تظنه مبلغًا على غرار ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه .. ليس شيئًا كبيرًا .. »

بعد صمت سألته :

- « (هارولد) .. أعرف أننى أبدو حمقاء .. لكن ماذا يفعل (الكيميائى) بالضبط ؟ لقد شرحت لى (ديانا) أن عمله يختلف عن عمل الصيدلى .. وقد سرنى هذا .. »

- « ولا أنا أعرف يا عزيزتى .. ربما كان علينا أن

نسألها ثانية .. لقد بلغنا المرحلة التى ينبغى أن نعرف الأشياء فيها من ابنتنا .. »

★ ★ ★

لم يكن آل (باركلى) بحاجة إلى معرفة كنه (الكيمياء) .. لأن (ديانا) كانت قد اتجهت إلى دراسة علم (الكيمياء الحيوية) .. الأمر الذى يستحيل أن تفهم أمها كنهه ..

وكان سبب هذا التبدل يكمن فى محاضرة عنوانها (بعض النواحى الارتقائية فى البيئات حديثة التغير) .. ولم يبدُ الموضوع شائقًا ، حتى إن (ديانا) لم تفهم قط السبب الذى جعلها تحضرها .. إلا أنها فعلت .. وهكذا خطت خطوة كان لها أن تحدد مسار حياتها ..

كان المتحدث هو (فرانسيس ساكسوفر) .. دكتور فى العلوم .. وأستاذ زائر للكيمياء الحيوية فى جامعة (كامبريدج) ..

نشأ فى أسرة من جنوب (ستافورد شاير) .. أسرة لم تكن قط مرموقة ، حتى اكتسبت جينًا ما للمجد العلمى فى منتصف القرن الثامن عشر .. وكان هذا الجين مناسبًا لعصر الثورة الصناعية ..

لهذا ابتكر أجداد (ساكسوفر) أساليب جديدة لاستخدام البخار وزيادة الإنتاج ، وكونوا ثروة لا بأس بها ..

وفى النصف الثانى من القرن العشرين ظهرت روح الإنجاز العلمى فى (فرانسيس) .. فترك الاهتمامات الاقتصادية لأخوية وتفرغ للعلم ..

وكانت صحة أبيه قد تدهورت إلى حدٍ كبير .. لذا ترك العمل لابنيه الكبيرين ، وكرس وقته لابتكار طرق لاستلاب خزينة الدولة ..

أما عن (فرانسيس) فقد أنشأ مؤسسة للبحث العلمى خاصة به .. وحاول إثبات خطأ ما يظنه العامة من أن الاكتشافات مقصورة على الباحثين المجتمعين ، العاملين فى شركات ضخمة لها تنظيم شبه عسكرى ..

أطلق على مؤسسته اسم (دارهاوس) .. وسرعان ما استرعت اهتمام الشركات الكيميائية الكبرى ، وأثارت الحسد بين زملائه القدامى ..

ومن الغريب أن (ديانا) لم تعد تذكر تفاصيل المحاضرة .. فقط تذكر عبارة انطبعت فى ذهنها : الشخصية المهمة فى الماضى كانت المهندس ..

واليوم هى عالم الطبيعة .. لكنها فى الغد ستكون الكيميائى الحيوى ..

كان (ساكسوفر) لم يتجاوز الأربعين من العمر .. طوله ستة أقدام .. له شعر أسود بدأ يشيب على الفودين .. وله حاجبان كثان يعطيان انطباعًا بأن عينيه عميقتان أكثر مما هما فى الواقع ..

وكان أسلوبه هادئًا مسترخيًا .. يتكلم ولا يحاضر .. ويستعمل أصابعه الطويلة المدببة ليوضح كلامه ..

وأحست (ديانا) بأنها أخيرًا وجدت هدفًا لحياتها .. فى النهاية تغيير دراستها إلى الكيمياء الحيوية ..

وعندها .. المزيد من العمل الشاق ..

وعندها .. درجة شرفية ما فى الوقت المناسب ..

وفكرت فى أن تعمل فى (دار هاوس) .. عرفت أن عدد العاملين هناك كثير نوعًا .. وأغراها الكثيرون بالعمل فى شركات كبرى .. فعملها فى تلك الشركات لن يكون لامعًا ، لكنه يعد براتب جيد واستقرار ..

لكنها أصرّت على (دار هاوس) ..

قالوا لها :

- « إن (دار هاوس) أنتجت فيروسًا يمكنه أن

يسبب العقم لذكر الجـرادة .. هـذا أمـر واعـد دون شك .. »

★ ★ ★

ـ « بالطبع أتمنى أن تنالى الوظيفة .. لكن ما هى هذه الـ (دار هاوس) ؟ »

ـ « إنها مركز بحوث خاص يديره مستر (ساكسـوفر) يا أماه .. إنـه منزل كبير ابتاعـه الرجل منذ عشرة أعوام ، ويعيش فيـه مـع أسرته ، وقد حـوّل الجزء البـاقى إلـى مكـاتب ومعامل .. وأحـال الاسـطبل إلـى أكواخ لسكنى العاملين .. إنه بمثابة مجتمع .. »

ـ « وهل ستعيشين هناك ؟ »

ـ « لو كنت سعيدة الحظ سأجد غرفة صغيرة هناك .. يقولـون إنـه مكـان جميـل .. لكنـه يحتـاج إلـى العمـل الجادّ .. »

ـ « ما يقلقنى هو معرفة ما يصنعون فى هذا المكان .. »

ـ « إنهم يصنعون أفكـارًا يـا أمـاه .. ثـم يبيعونهـا للآخرين ليستعملوها .. »

ـ « ولماذا لا يستعملونها هم ؟ »

ـ « ليس هـذا عملهـم .. فـ (دار هـاوس) ليس مصنعًا .. سأقدم لك مثالاً : كانت لدى د.(ساكسوفر)

فكرة عن الأَرَضة ـ النمل الأبيض ـ التى تأكل المنازل والأثاث فى المناطق الاستوائية .. »

ـ « منازل ؟ »

ـ « نعم .. الأجـزاء الخشبية فقـط .. عندها كـان المنزل ينهار .. وقد عكف العاملون فى (دار هاوس) يبحثون عن سبيل للكفاح ... وجدوا أن النملة تحـوى فى أمعائها نوعًا مـن الحيوانـات الأوليـة مسئولاً عن هضم الخشب . فلو مات هذا الحيوان لعجزت النملـة عن هضم (سليولوز) الخشب ولهلكت .. وقد توصل العلماء إلى مادة تقتل هذا الحيوان الأولى .. وأسموها مادة AP-91 ، وجرى بيعها لبعض حكومات المنـاطق الحارة ، ويحصل د.(ساكسوفر) على نسبة من كل علبة تُباع .. هكذا تجرى الأمور .. وهذا ليس أكثر مـن مشـروع واحـد .. هنـاك كثـير مـن المشـاريع الأخرى .. »

ثم هتفت فى مرح :

ـ « والآن تعالى لأريك الثوب الذى نويت أن أحضر به مقابلة اليوم .. هلمى .. »

★ ★ ★

وقد قدمت شهاداتها العلمية لـ (ساكسوفر) ، وكانت التوصيات بشأنها جيدة ، وخطاب التقدم للعمل كُتب بأسلوب مؤثر ..

ـ ٢ ـ

لم تدر (ديانا) بحقيقة ما حدث ..

فالثوب الذى أعدته للمقابلة كاد يفقدها عملها .. وليس هذا لعيب فيه بل العكس .. فهو مصنوع من الصوف الأخضر الذى يتلاءم مع لون شعرها ، وكالعادة بدا أغلى ثمنًا حين ارتدته .

وقد قدمت شهاداتها العلمية لـ (ساكسوفر) ، وكانت التوصيات بشأنها جيدة ، وخطاب التقدم للعمل كتب بأسلوب مؤثر ..

لكن (ساكسوفر) كان قد تعلم الحذر من فترة إدارته لـ (دار هاوس) ، لذا ارتاب فى مظهرها ، لأن أناقتها وجمالها ينذران بالمتاعب .. وتدريجيًا ستتحول مؤسسته العلمية إلى ناد صيفى ، أو ناد للقلوب الوحيدة ..

لهذا بدأت المقابلة غير ناجحة ..

وعلى الغداء بدأت مخاوفه تتراجع .. فقد كانت تتحدث بذكاء وحيوية لمضيفها وزوجته ، وراحت تناقش مع (بول) ـ ذى الاثنى عشر عامًا ـ أمورًا

مهمة مثل التاريخ المتوقع لحدوث غزو من المريخ .. كما راحت تتودد إلى (ستيفانى) ..

فى نهاية الغداء سأل امرأته (كارولين) حائرًا :

- « ما رأيك ؟ أترانا نقبلها أم أننا بهذا نسبب لأنفسنا المشاكل ؟ »

قالت له :

- « (فرانسيس) يا عزيزى .. يجب أن تكف عن افتراض أن هذا المكان يجب أن يعمل كآلة .. فلن يعمل .. وإذا ظننت أن واجبك هو وضع المتقدمات فى مسابقة جمال عكسية - اختيار الأقبح - فهذا ليس واجبك .. إنها فتاة ذكية وغير معتادة .. فإن كانت تملك ما تبغى من علم فلا تتردد فى قبولها .. »

وكذا فازت (ديانا) بالوظيفة ..

★ ★ ★

وسرعان ما وجد زملاؤها فى العمل - الذين حاولوا أن يجربوا فتنتهم - أنها لا تستجيب بتاتًا ..

وقال أحد الكيميائيين بحزن :

- « جميلة هى .. لكن غبية .. » .

وقال أحد باحثى الأحياء :

- « غبية ؟ يا للسماء ! وحتى لو كان هذا صحيحًا .. أهو عيب فى المرأة ؟ »

قال زميله :

- « إنها تتكلم أكثر من اللازم .. لكنها تتكلم فى الأمور الخاطئة .. »

وتدريجيًا بدأت الزوجات والعازبات فى مركز البحوث يشعرن بشىء من الراحة .. واسترخين أخيرًا .. إن الفتاة الجديدة (باردة) لحسن الحظ ..

★ ★ ★

واستقرت (ديانا) فى (دار) ، وبدأت تمارس عملها فى نشاط أرضى عنها (ساكسوفر) .. وأدرك أنها فتاة مهذبة جادة ، وإن كانت تفضل الانفصال عن زملائها .. وكما قالت زوجته عنها فى نهاية الشهر الثانى :

- « إن هذه الفتاة معنا .. لكنها ليست معنا .. ثمة شىء غير عادى يتعلق بها .. إنها تبتسم للأشياء الخاطئة التى لا تستحق الابتسام .. ولسوف تدهشنا جميعًا عاجلاً أم آجلاً .. »

★ ★ ★

- ٣ -

ذات صباح - بعد ثمانية أشهر لها فى المركز - كانت جالسة فى المعمل أمام (الميكروسكوب) .. فرفعت رأسها لترى (فرانسيس) على الباب وقد وقف ممسكًا طبقًا ، وعلى وجهه تعبير من الألم ..

قال لها :

- « مس (براكلى) .. إنه لاهتمام مشكور منك أن تتأكدى من أن (فيليشيا) لديها طعام الليل .. لكنى سأكون لك ممتنا لو حرصت على وضع طبقها فى مكان بعيد عن حركة المرور فى المستقبل .. هذه هى ثالث مرة أوشك فيها على أن أكسر رجلى بسبب هذا الطبق .. »

- « آسفة يا مستر (ساكسوفر) .. سأتذكر ذلك فيما بعد .. إن (فيليشيا) لم تشربه كما تعلم .. لربما أفزعتها العاصفة الرعدية أمس .. »

وأخذت الطبق من يده لتضعه على المنضدة ، وقالت :

- « سأتأكد من أن .. »

وهنا توقفت عن الكلام ..

لاحظت أن اللبن بالطبق قد فسد منذ ليلة العاصفة .. لكن كانت هناك بقعة أقل من نصف بوصة تبدو مختلفة .. لم تحمض بعد ..

- « هذا غريب .. ! »

- « فيم كنت تعملين قبل أن تضعى هذا اللبن للقط ؟ »

- « تلك المجموعة الجديدة من نبات (الحزاز) ، التى أرسلها لنا (مكدونالد) منذ أسبوع .. »

بحثا عن شريحة نظيفة .. وأعدا مسحة من الطبق وضعاها على الشريحة .. ثم قربت (ديانا) عينيها من (الميكروسكوب) لتتأمل (الأوراق) الرمادية الخضراء المميزة .. ثم قالت وهى تتأمل بعض الأجزاء المتحللة :

- « إنه من ذات مجموعة الحزاز .. لقد أسميته مبدئيًا (ليكنيس إمبرفكتوس) .. »

- « أحقًا فعلت ذلك ؟ »

- « ليس هذا سهلاً كما تعلم .. »

- « فلنتذكر أن الاسم مبدئى .. »

قالت :

ـ « إذن سقط جزء من الحزّاز فى لبن القط فمنعه من التخثر .. هل يتعلق الأمر بمضاد حيوى ؟

ـ « ربما .. إن كثيرًا من الفطريات تفرز مضادات حيوية .. ليس هذا مستبعدًا .. لكن الاحتمال واحد فى المائة أن يكون هذا المضاد نافعًا .. »

وتناول مرطبانًا فارغًا ملأه بـ (الحزّاز) ثم استدار لينصرف ..

قبل أن يصل إلى الباب استوقفه صوت (ديانا) :

ـ « د. (ساكسوفر) .. كيف حال زوجتك ؟ »

استدار وتبدلت ملامح وجهه .. كأنما نزع قناعًا ليكشف عن الإرهاق بداخله .. هزّ رأسه ببطء وقال :

ـ « يقولون فى المستشفى إنها بخير اليوم .. هذا هو ما استطاعوا قوله ، وأتمنى لو كان صحيحًا .. هى لا تعرف الحقيقة وتحسب أن الجراحة قد نجحت .. »

ثم استدار ليغادر المكان قبل أن تقول شيئًا ..

كان الحزّاز معه .. وتلك آخر مرة تسمع عنه (ديانا) شيئًا لفترة طويلة .. فقد توفيت (كارولين ساكسوفر) بعد أيام ..

وبدا كأن (فرانسيس) قد غاص فى غيبوبة طويلة ..

وصلت أخته الأرملة (إيرين) لتتولى شئون المنزل .. لكن (فرانسيس) بدا كأنما لا يلاحظها .. حاولت إقناعه بالخروج لكنه لم يفعل ..

ظلّ يذرع المكان كشبح لمدة أسبوعين أو أكثر .. وأغلق على نفسه معمله وراح يعمل .. طعامه يُرسل له فى المعمل ، لكنه لا يمسه .. وقيل إنه يعمل فى دستة أبحاث فى ذات الوقت كأنه جِنٌّ ..

وحين كان يظهر بعد هذا كله ؛ كان يبدو متباعدًا حتى إن أطفاله بدءوا يخافون منه .. وراح الجميع يتوقع له انهيارًا عصبيًا ..

لكن (فرانسيس) لم يصب بانهيار عصبى .. نجا منه بفضل إصابته بالتهاب رئوى .. وحين شفى منه بدا كأنما يستعيد ذاته القديمة ..

ولم تحاول (ديانا) أن تتساءل عما أصاب الحزّاز ..

كانت واثقة من أن المرطبان قد ضاع وقت وفاة (كارولين) .. إلا أنها ذكرته بالأمر فى الوقت المناسب ..

وكان الوقت المناسب هو إحدى حفلات (السواريه) الشهرية التى كانت (كارولين) حريصة على إحيائها ، لإذكاء الروح الاجتماعية لدى العاملين فى مركز البحوث ..

لقد تلقى المركز عينة نباتات جديدة من (ماكدونالد) الذى يجمع له العينات من أطراف الأرض ؛ وبعد تناول المرطبات راح (فرانسيس) يثرثر مع رجاله .. وشكر (ديانا) على ما أبدته من لطف شمائل نحو طفليه ..

هنا سألته عن عينة الحزّاز إياها ..

سألت بلا مبالاة وتوقعت أن يقول إنه نسى الأمر .. لكنه - للحظة لم تفتها - بدا مذهولاً كمن باغته السؤال .. واستعاد هدوءه ، لكن انطباع المباغتة ظل هناك .. قال لها بعد هنيهة :

- « آه يا عزيزتى ! إننى لمهمل .. كان علىّ أن أخبرك من قبل .. لقد اتضح أنه ليس مضادًا حيويًا بعد كل شىء .. »

واستدار ليتحدث مع شخص آخر ...

لكن إجابته كانت غريبة .. لو قال لها إنه نسى

الأمر برمته لكان هذا مقنعًا .. لكن العبارة التى قالها : « ليس مضادًا حيويًا بعد كل شىء .. » توحى بأنه يتجنب أن يقدّم إجابة مباشرة ..

لماذا يتجنب (فرانسيس) الإجابات المباشرة ؟

إنها زلة لسان من رجل اعتاد ألا يكذب ، ووجد أن عليه أن يجد كذبة سريعة ردًا على سؤال مفاجئ ..

ثم راحت تتأمل العبارة بدقة ..

« الفطر ليس مضادًا حيويًا .. » .. أى أن الفطر أعطاه انطباعًا بأنه مضاد حيوى واتضح إنه ليس كذلك .. فماذا اتضح إذن ؟

ثم كان هناك ترتيب قدرى آخر ..

لقد أرسل لها قسم المخازن طالبًا أن تجرد ما لديها من خامات .. فبدأت تعدّ قائمة بها .. حين وصلت إلى بند الحزّاز توقفت قليلاً .. إن قسم المخازن سيقوم بالجرد خلال أسبوعين من الآن ..

قاومت رغبة جامحة - لا إغراء - فى أن تتجاهل ذكر الحزّاز فى القائمة ..

قامت بالتزوير دون شعور بإثم ولا ذنب .. كأنما

تقوم بضرورة غير مستحبة .. وهكذا لم يظهر طرد الحزاز الذى أرسله (ماكدونالد) على الأوراق قط ..

★ ★ ★

وفى المراحل الأولى من أبحاثها على الحزاز كانت لديها مزية على (فرانسيس) .. فهى تعرف من البداية أنها لا تعمل على مضاد حيوى ..

كانت تبحث عن شىء (يبدو) كمضاد حيوى ، لكنه ليس كذلك .. وبعد أعوام قالت :

ـ « لم يكن الأمر وهمًا ولا تخمينًا .. لقد بدأ كل شىء باستنتاج منطقى .. وكان سهلاً ألا ألاحظ الأمر وأمشى فى مسالك خاطئة لمدة أشهر .. لهذا كان فى الموضوع جزء من الحظ كبير .. وحين راجعت نتائجى مرارًا لم أصدق ما أراه ..

« لقد برهن الجزء العقلانى منى على الأمر وفشل فى نفيه .. لهذا كان يجب أن أصدقه .. لكن الجزء الآدمى منى لم يستطع أن يقبل الأمر .. مثلما يجد الإنسان العادى صعوبة فى قبول المسلمات العلمية ..

وهذا هو ما جعلنى أتصرف بغباء ..

« كان كشفًا علميًا مهمًا .. وقد تمكنت من عزل

العامل الأساسى فى الحزاز ، واستغرق هذا أكثر وقت فراغى حتى رحت أمضى الجانب الأكبر من الليل فى هذا العمل ، وصارت زياراتى لدارى أقل .. »

كانت (ديانا) تجرى تجاربها على الفئران ، واكتشفت مجموعة الحيوانات التى كان (فرانسيس) يجرى أبحاثه عليها .. وبالتالى أمكنها إجراء مزيد من المقارنات ، وعند الخريف صارت نتائجها مؤكدة تمامًا ..

لم يبق سوى التجريب المنتظم ليعطى قياسًا أدق ..

وعندما بدأت تسترخى أمكنها أخيرًا أن تقوِّم ما وجدته .. لقد كان (فرانسيس) يسبقها بستة أشهر .. وبالتأكيد هو يعرف الآن ما تعرفه هى وأكثر .. لكنه لم يذكر حرفًا عما وجده ..

كانت تدرك أن وضعها القانونى خطأ تمامًا .. فكل ما تجده وهى تعمل تحت سقف معمل (فرانسيس) هو ملك له .. كان عليها أن تطلعه عليه ..

لكن من الناحية الأخلاقية لا تثريب عليها .. هى التى أسقطت الفطر فى اللبن .. هى التى لاحظت ما حدث للبن ، ولولاها لما تم اكتشاف أى شىء ..

وتدريجيًا بدأت تدرك أنها تمسك بأحد أكثر الأسرار التهابًا فى العالم .. والآن فقط تفهم إن (فرانسيس) لا يعرف ما يفعله به ..

وفيما بعد قالت :

ـ « كان أكبر خطأ قارفته هو أننى لم أطلع (فرانسيس) على ما وجدت .. لقد كان رئيسى وكنت عصبية متوترة .. لهذا لم أجرؤ .. »

★ ★ ★

وفى عيد ميلادها الخامس والعشرين وجدت أنها ثرية ، إذ ظفرت بالإرث الذى تركه جدها لها ..

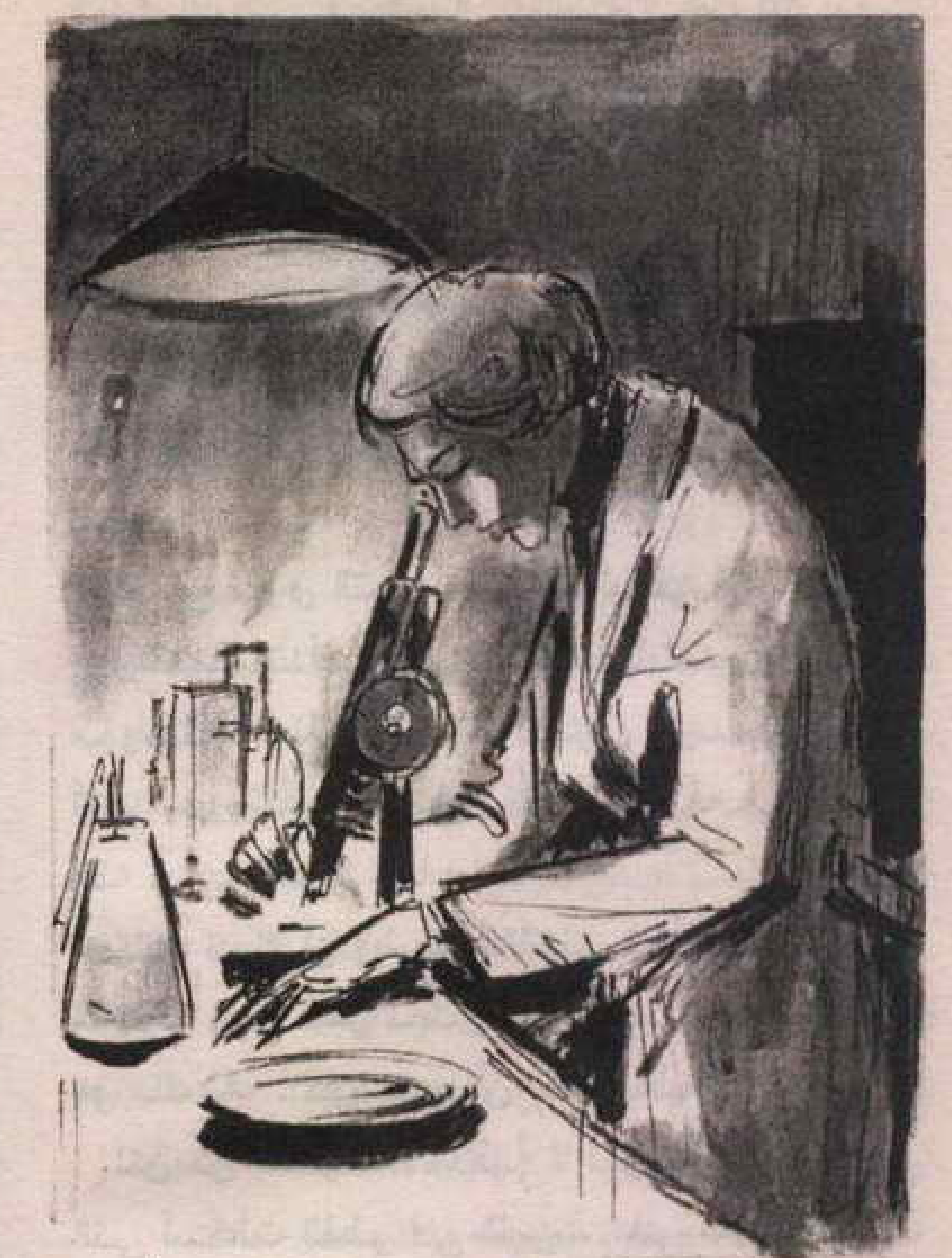
ابتاعت بعض الثياب من بيوت أزياء ما كانت لتجسر على دخولها .. واقتنت سيارة صغيرة .. لكنها لم تنتو أن تفارق (دار) ..

وقالت لها أمها إنها غدت ثرية بما يكفى كى تشترى لنفسها زوجًا ..

فردت عليها :

ـ « لماذا يا أماه ؟ »

ـ « أنت فى الخامسة والعشرين .. والزمن لا يبقى ساكنًا .. ستكونين فى الثلاثين قبل أن تدركى هذا ..



واستغرق هذا أكثر وقت فراغى ، حتى رحت أمضى الجانب الأكبر من الليل فى هذا العمل ..

ثم تبلغين الأربعين .. إن الحياة ليست طويلة .. ستعرفين هذا حين تنظرين لها من الطرف الآخر .. »

- « ولكنى لا أريد أسرة يا أمى .. هناك أسر كثيرة بالفعل .. »

وبعد أيام طلبت مقابلة (فرانسيس) ..

أخبرته أنها ترغب فى الرحيل قبل نهاية (أغسطس) ..

تنهد (فرانسيس) .. نظر ليدها اليسرى وبدا مندهشًا .. ثم قال :

- « ليس السبب التقليدى .. »

رأت نظرته ، فقالت :

- « لا .. »

- « كان يجب أن تنتحلى هذا السبب .. فهذا كان سيعطينى فرصة لا بأس بها لمناقشتك .. »

- « لا أبغى مناقشة .. »

- « إن علىّ أن أناقش الأفراد الممتازين فى مجموعتى .. وأن أقنعهم بالبقاء .. والآن ماذا حدث ؟ ماذا فعلناه أو لم نفعله ؟ » .

قالت له إنها ورثت مالاً ، وترغب فى القيام برحلة حول العالم .. قال لها إنها فكرة طيبة .. هكذا يمكنها

متابعة عمل الباحثين فى المناطق الاستوائية ، يمكنها أن تقضى عامًا على سبيل الإجازة ..

قالت :

- « ليس هذا ما أعنيه .. »

- « ألا تريدين العودة ؟ أتمنى ألا تفعلى .. إننا سنفتقدك .. هل قدم لك أحدهم عرضًا أفضل ؟ »

- « لا .. إننى .. »

ولم تجد كلمات تقولها .. وقفت مترددة غير واثقة ..

وأدرك أن الدموع توشك على الانهمار من عينيها الرماديتين ..

كانت ترتجف ..

- « يجب أن تتركونى أرحل .. »

وخرجت من الغرفة قبل أن يكمل كلامه ..

★ ★ ★

الجزء الثانى

ـ ٤ ـ

قال (فرانسيس) لولديه :

ـ « إننى سعيد أن كليكما استطاع المجىء .. »

قال (بول) :

ـ « كان من العسير أن آتى ، لكنك جعلت الأمر مُلِحًّا .. » .

ـ « الأمر مهم بالفعل .. لكن رابع أفراد مجموعتنا قد تأخر .. لعلكم تذكرانها .. لقد فارقت (دار) منذ أربعة عشر عامًا .. إنها (ديانا براكلى) .. »

قال (بول) :

ـ « أعتقد أننى أذكرها .. طويلة حسنة المظهر .. أليس كذلك ؟ »

وقالت (زيفانى) :

ـ « أذكرها طبعًا .. وكنت أعتبرها أذكى مخلوق فى الكون بعدك يا أبى .. »

سأله (بول) :

ـ « إنه لزمن بعيد .. ولا أدرى ما يجعل هذا مُلِحًّا .. »

قال الأب :

ـ « يحتاج هذا إلى شرح مطوّل .. ولحسن الحظ أن تأخرها يمنحنا وقتًا للشرح .. »

كان (بول) فى السابعة والعشرين الآن .. مهندسًا له سيماء طفولية ، برغم اللحية التى حاول أن يبدو بها أكثر جدية .. أما (زيفانى) فقد اكتسبت جمال أمها .. وإن بدت كطفلة لا فى سن الجامعة ..

ـ « كان من الواجب أن أخبركما بهذا منذ زمن .. لكن لدىَّ أسبابًا ضد هذا .. » .

تساءلت (زيفانى) :

ـ « رباه ! إن الكلام يبدو مقلقًا .. أترانا لقيطان أو شىء كهذا ؟ »

ـ « بالطبع لا .. إنها قصة طويلة سأحاول أن أحكيها من البداية .. لقد بدأت فى (يوليو) عام وفاة أمكما .. »

وحكى لهما قصة اللبن والحزّاز ..

ـ « .. وأخذت المرطبان إلى معملى .. لكن أمكما توفيت سريعًا .. وانهرت أنا .. وفى يوم صحوت من

النوم قائلاً لنفسى : لو لم أنغمس فى العمل سأجنّ ، وهكذا عدت أدرس هذا الحزّاز .

« إن الحزّاز كائن غريب كما تعلمان .. إنه يمثل نوعين من الحياة ؛ الطحالب والفطريات يعيشان فى توافق حيوى تام .. ومنذ زمن طويل لم تبدُ له فائدة سوى استخراج الأصباغ ، وإطعام حيوان الرنة ..

« إلا أنه منذ فترة تبين إمكانية استخراج المضادات الحيوية منه .. حسبت فى البدء أننى أبحث عن مضاد حيوى .. لكن لا ..

« بعد فترة عرفت أنه شىء مختلف .. شىء لا يمكن تسميته .. لهذا اخترعت له اسمًا هو (أنتيجيرون) .. » .

ـ « وما معناها يا أبى ؟ »

ـ « (أنتى) معناها (ضدّ) .. و(جيرون) معناها (سنّ) .. بمعنى أدق : مضاد الشيخوخة .. صحيح أن أحد المقطعين لاتينى والآخر يونانى .. لكن أحدًا لم يعد يعبأ بهذا الخلط هذه الأيام .. لذا هو (أنتيجيرون) .. إن الاسم يصلح برغم أنه خطأ لغوىّ .. أما المادة التى استخلصتها من الحزّاز فأسميتها (الحزّازين) ..

إن شرح آلية عملها عسيرة نوعًا .. لكنها ـ ببساطة ـ تؤخر التمثيل الحيوى للكائن الحىّ .. »

ظل الشابان صامتين هنيهة .. ثم هتفت (زيفانى) :

ـ « أبت .. لا تقل إنك وجدت .. »

ـ « بالفعل يا ابنتى .. الأمر كذلك .. »

نظرت له عاجزة عن التعبير ، ثم صاحت :

ـ « آه يا أبى ! »

ـ .. لا يجب أن تمنحينى ما هو أكثر من حقى .. أحدهم كان سيكتشف الشىء ذاته يومًا ما .. »

ـ « رباه ! كأنها كانت مجرد مصادفة أن يكتشف (فليمنج) (البنسللين) .. »

واتجهت إلى النافذة وألصقت جبينها بالزجاج البارد ، ترمق الحديقة ..

تساءل (بول) فى حيرة :

ـ « معذرة يا أبى .. ما زلت لا أفهم شيئًا .. أنا مجرد مهندس مدنى بسيط .. »

ـ « ليس صعبًا فهم ذلك .. الصعب هو تصديقه ! »

هتفت (زيفانى) :

ـ « إلى متى ؟ »

لم يفهم أحد مغزى سؤالها للحظة ..

وحبست أنفاسها واستدارت ، وجسدها كله ينبض نبضًا تبدى فى صوتها :

ـ « إلى متى يمتد بى العمر ؟ »

نظر لها (فرانسيس) لثوان .. ثم قال محاولاً أن يبدو صوته محايدًا :

ـ « المفترض أن تعيشى مائتى سنة ! »

★ ★ ★

قرع أحدهم الباب ، وأدخلت سكرتيرة (فرانسيس) رأسها من الباب قائلة :

ـ « إن مس (براكلى) على الهاتف .. تقول إن الأمر مهم .. »

غادر (فرانسيس) الغرفة تاركًا ولديه ..

قال (بول) فى دهشة :

ـ « هل حقًا يعنى ما قال ؟ »

ـ « طبعًا يا (بول) .. هل تتخيل أن يقول أبى شيئًا لا يعنيه ؟ »

هنا عاد الأب قائلاً :

ـ « لن تأتى (ديانا) .. لقد انتهت حالة الطوارئ .. وهذا يعطينا وقتًا أفضل كى نتحدث .. »

سألته (زيفانى) :

ـ « لا أفهم .. ما دور (ديانا) فى كل هذا ؟ هل هى وكيلتك أو شىء ما ؟ » .

هزّ رأسه نافيًا :

ـ « حتى يومين مضيا لم أحسب أنها تعرف شيئًا عن الأمر مثلى .. »

تساءل (بول) :

ـ « هل تعنى أنها سرقت عملك ؟ »

ـ « لا أظن .. تقول إنها وصلت إليه بنفسها .. وأنا أريد أن أصدق هذا .. »

ـ « وما حالة الطوارئ هذه ؟ »

ـ « على قدر علمى هى قد استعملت (الحزَازين) .. ويبدو أن خطأ ما قد حدث ، وهناك من سيقاضيها للضرر .. وهى لا تريد أن يصل الأمر إلى المحكمة .. »

ـ « إذن هى تريد أن تقترض منك المال الذى ستدفعه كتعويض .. حتى تضمن أن الأمر لن يصل للمحكمة ؟ »

ـ « أتمنى ألا تقفز إلى استنتاجات خاطئة .. أنت لا تتذكر (ديانا) . إنها تعمل فى شركة قادرة على دفع أى تعويض .. لكن معنى أن تدفع الشركة

تعويضًا ، هو أن تشجع إناسًا آخرين على طلب تعويضات .. »

سألته (زيفانى) :

- « هل تظن أنها كانت تعطى (الحزَازين) للناس دون علمهم ؟ »

- « بالطبع .. فلو عرفوا لذاعت الأخبار فى كل مكان خلال خمس دقائق .. »

هنا هتف (بول) فجأة :

- « تطعيمنا ! .. هذا هو السبب ! »

وتذكر ما حدث فى عيد ميلاده السابع عشر حين حدثه أبوه عن المقاومة التى بدأت البكتريا تكتسبها ضد المضادات الحيوية .. وكيف ألحّ عليه كى ينتفع من تطعيم جديد غير متوافر فى السوق .. وهكذا ذهب (بول) مع أبيه إلى المعمل ، حيث أحدث جرحًا فى ذراعه وأدخل فى الجرح شظية بيضاء صغيرة ، ثم خاط الجرح عليها .. وقال له :

- « هذا يكفيك لمدة عام .. »

ومن يومها .. صارت مناسبة سنوية له ولـ (زيفانى) أن يأخذ التطعيم ..

قطعت خواطره (زيفانى) حين سألت أباها :

- « وما اسم الشركة التى تعمل فيها (ديانا) ؟ »

- « إنه اسم فرعونى غريب .. كلا .. ليس (كليوباترا) .. »

- « هل هو (نفرتيتى) ؟ »

- « نعم .. نعم .. شركة (نفرتيتى) المحدودة .. »

- « يا للسماء ! و (ديانا) ؟ »

- « وماذا عن هذه الشركة ؟ » .

- « أبى العزيز ! أين تعيش أنت ؟ إن شركة (نفرتيتى) هى أكبر وأغلى مركز تجميل فى (لندن) ! »

انحنى للأمام بغتة .. ثم جلس وراح يضحك فى هستيريا .. ثم راح يهتزّ بالعبرات .. وأخفى وجهه بين كفيه ..

هرع الفتى إليه يربّت على كتفه .. وهزّه بقبضة حازمة هاتفًا :

- « أبى .. توقف ! »

رفع عينيه الدامعتين .. وقال :

- « معذرة .. إن هذا مضحك .. كل هذه الأعوام

أخفى فى ضلوعى هذا السرَ .. سرَ القرون .. ثم أجد أنه صار علاجًا للتجميل .. ! » .

ومن جديد عاد يتهانف بالبكاء ..

جلست (زيفانى) على الأريكة بجواره ، واحتضنت يده .. فهمس :

ـ « ربّاه ! » ..

★ ★ ★

ـ ٥ ـ

خرجت (زيفانى) من المصعد ، وهى تفتش فى حقيبتها عن المفتاح ..

هنا نهض رجل ضخم الجثة من على مقعد غير مريح على الإطلاق ، وقابلها على باب الشقة .. هنا تبدل وجهها من الحيرة إلى الحزن بسرعة غير عادية ..

قال الرجل مقطبًا :

ـ « كان اتفاقنا أن أتصل بك منذ ساعة .. وقد فعلت .. »

ـ « آسفة يا (ريتشارد) .. أنا ..

ـ « لقد نسيت كل هذا .. »

ـ « لم أنس .. تذكرت هذا الصباح .. لقد حدثت أشياء كثيرة من وقتها .. »

ـ « حقًا ؟ »

قالها (ريتشارد تريفرن) ووقف جوارها .. رجل طويل أشقر يرمقها فى ريبة ..

ـ « أشياء كثيرة مثل ماذا ؟ »

قالت بغموض وهى تفتح باب الشقة :

ـ « أمور عائلية .. »

ثم دخلت وهو خلفها ، فقالت له :

ـ « هلم اجلس . أعطنى عشر دقائق ريثما أستحم وأبدّل ثيابى .. »

غمغم وهو يجلس :

ـ « إن عشر دقائق معناها خمس دقائق بعد ارتفاع الستار .. »

ـ « (ريتشارد) .. ألا نذهب لنتناول العشاء فى مكان هادئ ؟ أعرف أن هذا سوء ذوق منى ، لكنى لن أستطيع الاستمتاع بالمسرح هذه الليلة .. يمكنك إلغاء الحجز بالهاتف .. »

ـ « ليكن .. سأتصل بالمسرح فلا تقلقى .. »

لم تكن أمسية طيبة على الإطلاق .. فقد حاولت أن تبعث البهجة لكنها فشلت .. وشربت كثيرًا من (البراندى) ..

وحين عادا لشقتها كانت عيناها دامعتين .. كانت تبكى دون توقف ، ولاحظ (ريتشارد) أنها ـ بالفعل ـ تحمل وجه طفل .. طفل باك :

قال لها فى حيرة :

ـ « والآن هلا شرحت لى سر بكائك ؟ »

لم تجب .. فعاد يسألها :

ـ « لاتكونى حمقاء .. أمثالك لا يبكون دون سبب .. »

ـ « إنه سرّ .. لا أستطيع البوح به .. »

ـ « اللعنة على الأسرار ! كيف أساعدك ما لم أعرف مشكلتك ؟ انظرى يا حبيبتى .. كل الأمور تبدو بحجم خاطئ حين تكونين وحيدة إزاءها .. إننى أعرف كيف أكتم السرّ .. »

أمسكت بيده .. وقالت :

ـ « أنا لا .. لا أريد هذا .. »

ـ « لنكن أكثر وضوحًا .. ما الذى لا تريدينه إلى هذا الحدّ ؟ »

نظرت له بعينين زائغتين وقالت :

ـ « أن أستمر .. وأستمر .. فكر فى هذا .. كل الناس تشيخ وتموت بينما أستمر أنا هكذا .. وحدى للأبد .. لم يعد الأمر مثيرًا يا (ريتشارد) .. أنا خائفة .. أتمنى أن أحب وأعيش .. ثم أشيخ وأموت كالآخرين .. هذا ما أريد .. »



ـ (أن أستمر .. وأستمر .. فكر فى هذا .. كل الناس تشيخ وتموت ، بينما أستمر أنا هكذا .. وحدى للأبد ! ..

قال لها فى صبر :

ـ « الآن أنت فى مرحلة مرضية .. يكفى هذا الهراء .. عليك الآن أن تدخلى الفراش .. »

ـ « إن مائة عام لزمن طويل جدًا .. طويل جدًا بالنسبة لإنسان وحيد .. »

ثم أردفت :

ـ « آه يا عزيزى ! ما كان لى أن أقول هذا .. فلتنس ذلك .. »

ـ « ليكن .. والآن إلى الفراش .. »

ـ « ألا تستطيع معاونتى يا (ريتشارد) ؟

لم يرد .. قادها إلى حجرة النوم فساعدها على الرقاد فى الفراش ، ثم غادر الغرفة على أطراف أصابعه ، وارتدى قبعته ومعطفه ..

أشعل لفافة تبغ واطمأن إلى أن صوت البكاء توقف ..

ثم غادر الشقة ..

★ ★ ★

فى ذلك الوقت كان (بول) يخوض معركته الخاصة ..

كان قد قرر أن يخبر زوجته بما سمعه من أبيه .. فـ (جين) ستعرف عاجلاً أو آجلاً .. ولن تغفر له أبدًا أنه لم يخبرها .. وهو - بدوره - لا يقدر على إخفاء شيء عنها ..

كانت شخصية (جين) تختلف كثيرًا عن آل (ساكسوفر) .. ربما كان أهم شيء هو المعاملات المالية ؛ فآل (ساكسوفر) كانوا يعتبرون المال ناتجًا زائدًا عن العمل ينمو وحده .. أما أسرة (جين) فكانت تؤمن بأن المال يجب أن ينمو بأية وسيلة ..

وكان أبوها - (كولونيل بارتون) - رجلاً عسكريًا متقاعدًا ، يملك إقطاعية صغيرة فى (كومبرلاند) .. إقطاعية راحت تتآكل قطعة فقطعة .. أما ابنه الأوحد (هنرى) فقد تزوج زيجة غير موفقة ، جعلت الأمل مفقودًا فى أن يعيد مجد الأسرة وثراءها ..

وهكذا علق الأب آماله بابنته .. أرسلها إلى مدرسة من الدرجة الأولى ، وبعد إحباطات متوالية نجح فى أن يزوجها (بول) بن (فرانسيس) ..

لم يكن (فرانسيس) يتمنى هذه الفتاة لابنه .. لكن حاستها الاجتماعية كانت جيدة ، وكانت تتحاشى

المحرمات ، وتعمل بالوصايا العشر ، ثم إنها تعرف جيدًا ما تفعله ..

كان (بول) محقًا حين قال ذات مرة إن أباه وأخته لا يحبان (جين بارتون) .. الحق أن (فرانسيس) حاول مرارًا أن يحب (جين) .. لكن (زيفانى) كانت قد أقرت بفشلها تمامًا .

وقالت لأبيها ذات مرة :

- « آسفة يا أبى .. لقد حاولت مرارًا أن أحبها لكننا لا نعيش فى نفس العالم أو نرى نفس الأشياء .. إنها لا تفكر فى شيء .. تتصرف بأسلوب الانعكاس الشرطى .. ولديها ردّ جاهز لكل شيء .. »

قال لها :

- « على الأقل فلنحاول إبقاء العلاقة متحضرة فى أسرتنا .. »

وكانت مشكلة (بوْل) هى أن (جين) يجب أن تعرف ..

وأخيرًا قرر أن يخبرها بالأمر على مائدة الإفطار .. ولم تكن هناك استجابة متوقعة من زوجة يخبرها زوجها فجأة - على مائدة الإفطار - أنه يتوقع أن يحيا مائتى عام .

لهذا نظرت لـه نظرة بلا معنى ، وتأملت وجهه الذى كان مغطى أكثره باللحية .. لكن العينين هما ما يهم فى أمور كهذه ..

بحثت عن عينيه .. وأخيرًا قالت فى حنكة :

ـ « حسن .. لقد زاد معدل الحياة فى الخمسين عامًا الماضية .. » .

ـ « أقول .. مائتى عام ! »

ـ « (بول) .. هل أنت على ما يُرام اليوم ؟ »

صرخ فيها وقد رآها توشك على النهوض :

ـ « اجلسى ! اجلسى واسمعى ! وكُفى عن هذه الجمل التقليدية .. إن ما سأخبرك به يهمك .. »

كانت تدرك من كتاب (الاستراتيجية) غير المكتوب ، أن هذه هى اللحظة المثلى للانسحاب .. فالانسحاب الآن يترك العدو مرتبكًا مزعزعًا .. إلا أن (بول) يبدو قلقًا بحق .. لذا ترددتْ .. وجلستْ .

قال لها :

ـ « لو أصغيت لوجدت أن ما أقوله مهم .. »

وحكى لها القصة كلها ..

قالت له بعد ما سمعت ما قال :

ـ « ولكن يا (بول) هل تتوقع أن أصدق هذا ؟ إن أباك يمزح .. »

نظر لها نظرة مخيفة وقال :

ـ « كانا على حق .. كان علىَّ ألا أخبرك بشىء من هذا .. »

ـ « إذن هما طلبا منك ألا تخبرنى .. »

ـ « كلا .. طلبا منى أن أنتظر .. حتى يغدو إخبارك بالأمر بلا مجازفة .. »

ـ « لابد أن هناك أعراضًا لهذا الدواء .. »

ـ « نعم .. لاحظت أننى لم أكن أصاب بالزكام بسهولة ـ لكنى لم أكن أعرف السرَّ وقتها ـ كما لاحظت أن جروحى تلتئم سريعًا .. »

ـ « ولماذا مائتا عام بالضبط ؟ ما سر هذه الدقة ؟ »

ـ « لأنه يفعل هذا .. يقول أبى إن هذا العقار يخفض تمثيل الخلايا الحيوى إلى الثلث .. ومعنى هذا أننى أشيخ عامًا واحدًا كلما مرت ثلاثة أعوام .. »

ـ « إذن فعمرك الحقيقى سبعة وعشرون عامًا ، بينما عمرك الجسدى عشرون .. » .

ـ « بالضبط .. كنت أبدو دائمًا أصغر من أقرانى لذا ربيت هذه اللحية .. وكذلك الأمر بالنسبة لـ (زيفانى) .. »

ـ « ألا تفهم معنى هذا الاكتشـاف ؟ إنـه يساوى ملايين الملايين .. إن آلاف الرجال والنساء يتمنون لو دفعوا الملايين كى تطول حياتهم .. والآن هل أنت واثق من أن أباك لم يفعل شيئًا طيلة أربعة عشر عامًا ، سوى أن يعالجك أنت وأختك ؟ بحق السماء أظهر بعض الذكاء يا (بول) .. »

ـ « لقد جربه على نفسه قبلنا بالطبع .. »

ـ « إذن سيعيش حتى مائتى عام .. »

ـ « ليس إلى هذا الحدّ .. فقد بدأ متأخرًا .. »

ـ « لا بد أنه صنع الملايين طيلة هذه الأعوام وأبقاها لنفسه .. كم علينا أن ننتظر حتى نرث هذا المال ؟ قرونًا ؟ »

نظر لها فى حدة .. فقالت وقد لاحظت نظرته :

ـ « لا شىء خطأ .. من الطبيعى أن يموت الشيوخ ويرث الصغار .. ثم إن لدى أسبابًا قوية تدعونى للكلام مع أبيك .. سأبدأ بسؤاله : لماذا لم يعالجنى أنا ـ زوجة ابنه ـ وتركنى أشيخ عامين كاملين ؟ لقد خدعنى فى ستة عشر شهرًا من حياتى كان يمكننى الظفر بها .. ماذا تقول فى هذا ؟ »

★ ★ ★

ـ ٦ ـ

قال (جيرالد مارلين) :

ـ « لا بد أن أحقق فى هذا .. هناك شىء يستحق .. أنا واثق من ذلك »

قال رئيس تحرير جريدة (صنداى برون) :

ـ « شركة (نفرتيتى) ! يجب أن تتأكد من موضع قدميك .. »

ـ « أعرف هذا .. لكن قراءنا سيحبون هذه الأشياء .. إنهم مولعون بفضائح الأثرياء .. »

فكر رئيس التحرير متشككًا .. فقال (جيرالد) :

ـ « انظر .. لقد هزتهم تلك المرأة من (ويلبرى) .. طالبتهم بخمسة آلاف جنيه تعويضًا .. خمسة آلاف ! »

ـ « إن هذه الأوساط تدفع الكثير كى لا تذهب للمحكمة .. »

ـ « خمسة آلاف ! »

ـ « فقط جزء يُضاف للتكاليف .. أنا لا أؤمن بوجود موضوع مهم فى كل هذا .. المرأة أصيبت

بالحساسية ، وهذا قد يحدث لأى شخص .. الله وحده يعلم ما تضعه مراكز التجميل تلك فى كل هذه الدهون والغسولات وكل ما يستعملونه .. من الممكن حدوث أى شىء .. ولو أنهم أعلنوا غدًا نصرًا علميًا جديدًا .. يستخرجون مادة للتجميل من البطين الأيسر للدبور .. كيف تتوقع أنك لست مصابًا بحساسية تجاه شىء كهذا ؟ »

ـ « أنا متأكد من وجود شىء غير طبيعى فى كل هذا .. ثم إننى أشك فى هذه المرأة (براكلى) التى تدير المكان .. واضح أنها ذكية .. وليست الطراز الذى يدير هذه الأماكن .. »

وتحسس جيبه .. فتناول بعض أوراق مطوية ناولها لرئيسه ..

فتحها الأخير فوجد مكتوبًا عليها (ديانا بريسيلا براكلى ـ تقرير أولى) ، وقد كتبها على الآلة الكاتبة شخص يهتمَ بالسرعة أكثر منه بالدقة ، وكان المكتوب يقول :

ـ « (ديانا بريسللى براكلى) .. عمرها تسعة وثلاثون عامًا .. حسنة المظهر .. شعر بنى .. عينان رماديتان .. تقود سيارة (رولزرويس) غالية الثمن .. تعيش فى (دارلنجتون) بإيجار مسكن فلكى .

« الأب (هارولد براكلى) .. متوفى .. موظف فى مصرف .. عاش فى ٤٣ (دسنبترود) .. كانت هى طفلته الوحيدة .. درست فى المدرسة المحلية حتى سن أحد عشر عامًا ، ثم التحقت بـ (سانت ميرين) الثانوية ، ونالت منحة دراسية فى (كمبردج) لتفوقها ..

« عملت ثلاثة أعوام ونصف فى (دار هاوس) ، ثم ظهر عليها الثراء المفاجئ فى سن الرابعة والعشرين ، وقامت بجولة لمدة عام حول العالم .

« عند العودة اتجهت إلى مهنة التجميل .. وبعد عامين أنشأت شركة (نفرتيتى) المحدودة .

« المعلومات الشخصية عنها قليلة برغم كثرة الفضائح فى المهنة .

« لم تتزوج .. تعيش فى بذخ .. تنفق بسخاء على ملبسها .. مستقيمة .. كل العاملين فى مركزها تم انتقاؤهم بعناية .. »

قال المدير :

ـ « ليست نموذجًا بشريًا تمامًا .. ألا ترى هذا ؟ »
قال (جيرالد) :
ـ « هى مذكرة مبدئية .. لكن الأمر غريب .. إنها من خارج حقل التجميل ومن طراز مختلف ، تخوض مجال المنافسة وسط الوحوش والمبتسمين الذين يدارون الخناجر خلف الظهور .. وبرغم هذا لا تموت .. بل وتنجح نجاحًا مذهلاً .. كيف ؟ توجد إجابة واحدة : التميز .. إنها تملك شيئًا ليس عند الآخرين .. وهذا الشىء وجدته حين كانت فى (دار هاوس) وقررت أن تنتفع به .. »
هزّ المدير رأسه وقال :
ـ « حسن يا (جيرى) يا غلام .. ابحث فى الأمر وكن حذرًا .. إن شركة (نفرتيتى) لها نفوذ قوى .. ولو وجدت ما يمكن أن يكون فضيحة فسوف تكون هناك زوجات رجال مهمين فى الموضوع .. فتذكر هذا .. »

★ ★ ★

قالت الخادمة الشابة :
ـ « سأخبر المدام أنك هنا .. »

وأغلقت الباب خلفها ..
كانت الغرفة مؤثثة بطريقة فاخرة ، لكنها عتيقة الطراز .. والنافذة تطلّ على حديقة غنّاء ..
هنا سمعت صوت الباب ينفتح ..
كانت (ديانا) هناك واقفة ، بثوب من الحرير الرمادى الأنيق ، ولا حلىّ ترتديها سوى سوار ذهبى حول معصمها ..
تبادلا النظر بلا كلام .. كانت (ديانا) بالضبط كما تذكرها (زيفانى) .. لا بد أنها فى الأربعين لكنها تبدو فى ميعة الشباب ..
قالت (زيفانى) :
ـ « هكذا أشعر بأننى طفلة من جديد .. »
ابتسمت (ديانا) وقالت :
ـ « وأنت تحاولين أن تظهرى أكبر سنًا كما كنت دومًا .. »
ـ « إذن فالأمر حقيقة .. إنه يعمل ! » .
قالت (ديانا) :
ـ « شعرت بأنك متوترة فى الهاتف ، لذا طلبت أن ألقاك .. »

وتحدثنا .. وتدريجيًا نجحت (ديانا) فى إزالة توتر (زيفانى) وشعورها بعدم التصديق ..

سألتها (زيفانى) :

ـ « ما هو موضوع (نفرتيتى) ؟ وما المشكلة التى كنت فيها ؟ »

تناولت (ديانا) لفافة تبغ وفركتها .. ثم تأملتها لحظة وقالت :

ـ « حسن .. سأبدأ من البداية .. »

وأشعلت اللفافة وبدأت تحكى القصة من بدايتها ..

ـ « كانت المشكلة الحقيقية هى كيف نفيد من هذا الشىء .. كنت حائرة ثم بدأت أفكر .. لو أننى جعلت بعض النسوة يعشن طويلاً حتى يصير منهن عدد كاف ذو تأثير .. عندها يجدن أنهن سيعشن حياة طويلة ، ويبدأن الكفاح من أجل حقوقهن .. »

« أنت تشعرين بالارتباك الآن .. لكنك ستفهمين ذلك .. »

ـ « ولكن .. ماذا عن نقص المورد الطبيعى من (الحزّاز) ؟ »

ـ « آه .. لن يلبث العلم أن يجد حلاً لهذا .. ما دام الطلب مكفولاً .. »



وأشعلت اللفافة ، وبدأت تحكى القصة من بدايتها ..
ـ (كانت المشكلة الحقيقية هى كيف نفيد من هذا الشىء ..

ـ « لكن الناس سيتقاتلون للحصول عليه وإطالة أعمارهم .. »

ـ « كل هذا سيحلّ فى وقته .. لن يحب كل الناس طول العمر .. »

قالت (زيفانى) :

ـ « لقد جئت ها هنا خائفة نوعًا .. مذعورة .. لكنى الآن بدأت أدرك أن اكتشاف أبى ـ أو اكتشافك ـ هو حلم هائل يتحقق .. خطوة لا تصدق نحو المجهول .. »

قالت (ديانا) بعد ما تأملتها قليلاً مفكرة :

ـ « تعلمين يا عزيزتى أن العالم فى فوضى .. إن آلافًا منا يجيئون العالم كل يوم ، وعما قريب سيبدأ عصر المجاعات .. أنا لا أمزح يا فتاتى ولا أتخيل .. بل أتحدث عن موقف لا مفر منه ، ولو لم نفعل شيئًا بصدده فسوف يطارد البشر البشر عبر الخرائب من أجل التهامهم .. نحن نترك الأمور تمضى لهذا بلا مبالاة شريرة ، لأن حياتنا قصيرة نضمن معها أننا لن نكون موجودين لنرى ذلك ..

« إن جيلنا لا يعبأ بالتعاسة التى سيسببها .. « هذه مشكلتهم » .. هكذا نقول .. اللعنة على أطفالنا ما دمنا نحن على ما يرام ..

« يوجد شىء واحد يمكنه منع ذلك : أن يستطيع بعضنا أن يحيا حياة طويلة كى نقلق من أجل أنفسنا .. وكى نزداد حكمة ..

« إننا نخطو نصف خطوة نحو الحكمة وبعدها نشيخ .. نحتاج إلى الوقت كى نكتسب الحكمة ونستعملها .. وإلا سنموت جوعًا .. »

وابتسمت لـ (زيفانى) .. وقالت :

ـ « معذرة على تفلسفى .. لكن مما يريحنى أن أقول هذا لشخص ما .. ومهما سبَب هذا الاكتشاف من ارتباك فهو يحمينا مما هو أسوأ ..

« إن ما قمت به يبدو مضحكًا .. ربما يراه أبوك فضيحة .. لكنى ظفرت بألف امرأة وعالجتهن .. »

سألتها (زيفانى) :

ـ « وكيف فعلت ذلك ؟ »

ـ « تصرفت كذلك الرجل الذى كان يهرّب اللآلئ .. وكان يضع اللآلئ الثمينة داخل لآلئ مزيفة ..

« لقد اعتاد الناس النصب من معاهد التجميل ، وعلى عبارات من نوع (إبقى شابة أبدًا) .. لا أحد يصدّق حرفًا من هذا .. لكنهم سيجربون معى .. وسيجدون نتائج حقيقية .. لكنهم - من كثرة ما ذاقوا الكذب - لن يصدقوا أن هذا حقيقى ، وأنه حدث لهم حقًا .. لن يلاحظوا الفارق إلا بعد أعوام ..

« قلت لنفسى : هذا هو القرن العشرون وهو يستحق هذا .. ليس هذا هو عصر الحكمة .. إنه عصر الجنون والأساليب المراوغة ..

« وقررت - أولاً - أن أتأكد من انتظام إمداداتى مما يسميه أبوك (حزّازين) وأسميه أنا (ترشياتين) .. لذا قمت برحلتى حول العالم .. فى الواقع اتجهت إلى شرق آسيا ..

« كنت أبحث عن مستر (ماكدونالد) ، لكنه كان قد مات .. وعرفونى على مساعده مستر (ماكمورتى) .. وكان فى حملة الحزّاز إياها ..

« وقد أخذنى الرجل إلى مكان ما فى (منشوريا) شمالى (فلاديفستوك) حيث وجدوا الحزّاز .. لكن لم يكن هناك كثير منه هنالك ..

« ولا أخفى عليك قلقى بصدد هذا المورد ، فهو تحت سيطرة الصينيين ، لكن لو سمع به الروس .. عندئذ لا مشكلة هناك .. لأن (منشوريا) تبعد أقل من مائتى ميل عن الحدود الروسية فى ثلاثة اتجاهات ..

« أعتقد أنك تدركين أن كلامى معك سرّ .. وإلا صار أبوك وأنا هدفين رئيسيين .. وعندها ستغدو مسألة حياة أو موت كما تفهمين .

« كان كل شىء على ما يُرام لولا الحظ السيئ الذى جعل مس (ملبرى) تصاب بالحساسية .. لقد انتفخت البائسة وامتلأ جسدها بالطفح ، واحتقنت شعبها الهوائية .. لكنها قبلت التعويض .. وما كانت لتفعل لو لم نعرضه عليها بسخاء .. »

★ ★ ★

ـ ٧ ـ

قالت سكرتيرة (بول) له قبل أن يغادر المكتب :

ـ « د.(ساكسوفر) على الهاتف يا سيدى »

استدار (بول) ليلتقط السماعة ، فسمع صوت أبيه يسأله دون دفء :

ـ « لقد جاءتنى زوجتك هذا الصباح .. أعتقد أنه كان بوسعك أن تتفضل وتخبرنى أنك صارحتها بكل شىء .. »

ـ « قلت إننى سأخبرها لا محالة يا أبى .. »

ـ « متى قلت لها ؟ »

ـ « الصباح التالى .. »

ـ « منذ خمسة أيام .. هه ؟ ولم تقل شيئًا عن الحضور لمقابلتى .. »

ـ « قالت .. لكنى لم أحسبها تعنى ذلك .. وظننتها نسيت »

ـ « لم تنتظر طويلاً .. »

ـ « وماذا كانت تريد ؟ »

ـ « حقًا يا (بول) .. ماذا تظنها كانت تريد وتطالب به بقوة ؟ »

ـ « أبى .. هل فعلت لها ذلك ؟ »

ـ « نعم .. فعلت .. ورأيت أن من واجبى إبلاغك .. »

وأنهى المكالمة ..

ظل (بول) يرمق السماعة بضع ثوان ، ثم أعادها مكانها ببطء ..

★ ★ ★

فى الطابق الخامس من المبنى الذى تقع فيه مؤسسة (نفرتيتى) ؛ أصدر جهاز (الدكتافون) على مكتب (ديانا) أزيزًا ..

ضغطت على الزرّ فسمعت صوت سكرتيرتها الواهن يقول :

ـ « إن من تُدعى مس (برندون) ها هنا .. إنها قلقة وتريد مقابلتك .. قلت لها : إن التسلسل الطبيعى هو مس (رولرديدج) .. لكنها تصرّ على مقابلتك بنفسها فى موضوع شخصى .. »

فكرت (ديانا) فى الأمر .. لابد أن السبب مهم .. لهذا سمحت للفتاة بمقابلتها ..

كانت مس (برندون) شقراء ذهبية الشعر ، جميلة ، تشبه الدمية إلى أن ترى بريق المعركة فى عينيها الزرقاوين ..

ـ « لماذا لم تقولى ما تريدين لمس (رولريدج) ؟ »

ـ « كنت سأفعل لو لم تكن مشكلة إدارية .. ثم إننى كنت أريد التأكد من أن الآخرين لن يعرفوا .. »

ثم قالت بعد تردد :

ـ « إنهن يتحدثن كثيرًا ها هنا .. »

ـ « حسن .. ما هى المشكلة ؟ »

ـ « لقد ذهبت إلى حفل ليلة أمس .. كنا ستة .. مجرد عشاء ورقص فى النادى .. وبينما نحن نتناول الطعام تحدث رجل لا أعرفه عن مس (ويلبرى) وعن مرض الحساسية الذى أصيبت به .. هنا .

قال أحد الجالسين إننى من مؤسسة (نفرتيتى) وأننى أعرف ما حدث .. هنا فوجئت بالرجل الأول يسألنى فى إلحاح عن معلوماتى حول الموضوع .. كان منتبهًا جدًا لكلامى ، ودعانى كى يوصلنى لدارى ، لكنى رفضت .. ووعدته بالاتصال به »

« فيما بعد عرفت أنه صحفى شهير يعمل فى (صنداى برول) ، واسمه (مارلين) .. »

هزت (ديانا) رأسها مفكرة وعيناها لا تفارقان الفتاة .. ثم قالت :

ـ « حسن .. أظن خير ما تفعلين هو أن تقابلى مستر (مارلين) هذا غدًا ، وتخبريه بما يبغى معرفته .. »

ـ « لكنى لا أعرف ما .. »

ـ « حسن .. مس (تالوين) ستخبرك بالتفاصيل .. أريد أن تقتنعى هذا الرجل قبل أن يحاول الظفر بالمعلومات من أخريات .. انعمى بليلتك .. واحرصى على أن تستفيدى بالفرصة جيدًا .. لا تطلبى أى طعام رخيص .. وكلما زدت استغلالا وغلوًا معه كلما شعر أن معلوماتك مهمة .. »

ـ « وماذا أفعل بما سيعطيه لى من مال يا مس (براكلى) ؟ »

ـ « بارك الله فيك ! إن هذا المال من حقك .. ويمكنك أن تتصرفى فيه كما تشائين .. » .

وبعد انصرافها ، ضغطت (ديانا) على زر (الدكتافون) وقالت :

ـ « يا (سارة) .. أحضرى لى ملف مس (برندون) .. »

وجاءت (سارة) بالملف المذكور ، وقدمته لها .. وراحت (ديانا) تطالع المكتوب باهتمام شديد ..

★ ★ ★

تساءل (ريتشارد) :

ـ « أهذا كل شىء ؟ »

وتأمل الضمادة على ذراعه الأيسر ، وتحسسها ..

قال (فرانسيس) :

ـ « للأسف ليس المشهد دراميًا .. إن الأفلام تفعل هذا بشكل أفضل .. سيمتصَ جسدك هذا المركب ببطء .. إن الحقن تفعل ذات الشىء لكنها غير مضمونة .. »

قال (ريتشارد) :

ـ « لا أعرف ما أقول يا سيدى ، فما زلت أجد عُسرًا فى التصديق .. »

ـ « لا تقل شيئًا .. كن عمليًا .. فمنذ أن عرفت بمعرفتك الأمر أزمعت أن أريك مزاياه ؛ وإلا كانت (زيفانى) ستصرَ على الشىء ذاته .. »

ـ « ألا تجازف يا سيدى بذلك ؟ لقد تقابلنا ثلاث مرات فقط .. »

ـ « أنا لا أثق إلا فيمن يستحق .. »

وخرجا إلى قاعة الجلوس حيث كانت (زيفانى) تنتظر ، فما إن رأتهما حتى نهضت هاتفة :

ـ « مرحبًا يا (ريتشارد) .. إنها تسبب حكاكًا لكنه يزول سريعًا .. »

ـ « ما زلت مندهشًا .. »

قالت (زيفانى) :

ـ « أنا كذلك مندهشة .. تصور أننى سأمضى معك مائة وخمسين عامًا ! .. هل يمكن لاثنين أن يحبا بعضهما طيلة هذه المدة ؟! »

ـ « لا عليك يا عزيزتى .. سنحيا .. ستكون مغامرة .. سنستمتع بالاستكشاف معًا فى كل يوم .. »

تركت نظرتها القلقة تسترخى ، وقالت :

ـ « نعم يا (ريتشارد) .. أعرف هذا .. »

★ ★ ★

- ٨ -

وسط بريد الاثنين القليل ، جوار طبق إفطار (فرانسيس ساكسوفر) ؛ كان هناك خطاب منتفخ قليلاً عليه خط لم يتميزه ..

فتحه ليجد أنه يحوى أوراق صحف ، وورقة صغيرة كتب عليها :

« عزيزى (فرانسيس) ..

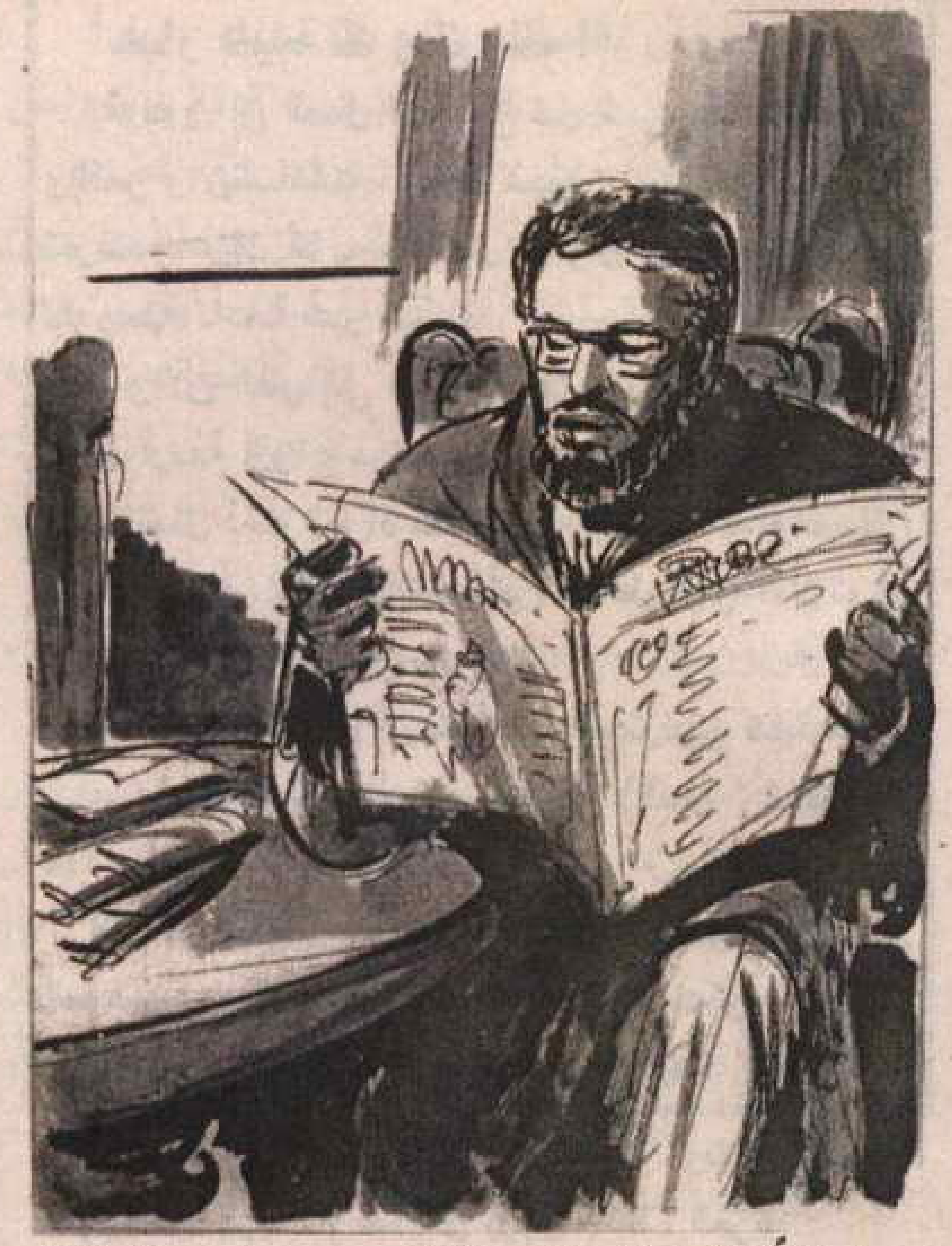
« تذكرت أن مرحنا فى (دار) أيام الآحاد كان يتلخص فى قراءة الصحف .. أعتقد أن الموجود ها هنا لا يثير اهتمامك ، ولربما أنت تعرف ما فيه ..

لكنى أجد ها هنا أن اليد اليسرى فى (فليت ستريت)(*) لا تعرف شيئًا عما تفعله اليد اليمنى .. »

المخلصة : (ديانا)

مدهوشًا تناول الجريدة .. كانت صفحة من (الرادار) عليها علامات حمراء تحت فقرات معينة .. وكان المكتوب كالتالى :

(*) فليت ستريت : حى الصحافة فى (لندن) .



مدهوشًا تناول الجريدة .. كانت صفحة من (الرادار) عليها علامات حمراء تحت فقرات معينة ..

أخبار طيبة لكِ ولكِ ولكِ !

يقولون إن المال لا يبتاع كل شىء .. كالشمس والقمر والابتسامات .. وهم محقون .. لكن يجب أن تعرف وأعرف أنا ، أن المال ما زال بوسعه أن يحقق لك رحلة ناعمة عبر الحياة .

« والآن انظر إلى الصور أعلاه لترى ما أعنيه .. توجد أربعة أزواج من صور الحسناوات .. الصورة العليا تمثل ذات المرأة منذ عشر سنوات .. والسفلى تمثلها اليوم .. قارن الصورتين .. هل ترى ؟ لا توجد اختلافات على الإطلاق ..

« إنهم يزعمون أن ثلاثمائة إسترلينى كل عام ، تدفعينها لمؤسسة تجميل معينة فى (لندن) تحقق لك هذا .. »

« انتظرونا فى الأسبوع القادم لتعرفوا أكثر عن الموضوع .. فاحجزوا نسختكم من (صنداى رادار) .. الجريدة التى تعرف ما يهمكم أن تعرفوه !

وضع (فرانسيس) الصفحة جانبًا .. وتناول صفحة أخرى من جريدة (صنداى برول) هذه المرة ..

وكانت تنشر فى عمودين صغيرين ما يلى :

الزمن لن يفعل !

لم يعد سرًا أن مؤسسة تجميل شهيرة قد قامت بتعويض إحدى العميلات ، كى لا ترفع شكواها إلى القضاء ..

إن مرض الحساسية هو مرض مزعج يظهر حين لا تتوقعه .. والمشكلة أن العميلة البائسة واجهت هذه المعاناة وحدها بدون زوجها .. الذى اضطرته أشغاله إلى السفر إلى أمريكا الجنوبية منذ عام .. وظل هناك بعيدًا عنها فى وقت حرج .

والأسوأ أن يحدث هذا لشركة محترمة مرموقة ..

يقولون إن سرّ تركيبة الجمال هذه يكمن فى شىء لا يكلف سوى جمعه ونقله ..

إن مصدر إزعاج هذه العميلة يظل سرًا حتى فى أوساط الشركة ذاتها .. وتظل العميلة خائفة من التعرض لهذه المادة ثانية دون أن تعرف .. لذا نقدم لها هذه النصيحة الغالية .. عليها أن تتحاشى سواحل خليج (جالواى) فى (أيرلندا) .. فإن لم تقدر فلتتحاش الاستحمام .. فإن كان عليها الاستحمام فعليها أن تتحاشى الأعشاب المائية هناك !

بقلم : (جيرالد مارلين)

أنهى إفطاره .. لكنه لم يذهب لمعمله كالعادة .. واتجه لمكتبه وطلب (ديانا) .. قال لها :

ـ « شكرًا على الصحف يا (ديانا) .. إن هذا مثير حقًا .. »

قالت (ديانا) :

ـ « إن الحساسية مرض غريب .. لا بد أن كل خصومى ظلوا يطلبون التفاصيل من مستر (مارلين) وعرضوا عليه الآلاف من الجنيهات .. تقول فتاة (السويتش) عندى إنه يجب استئجار ببغاء يقول (لا تعليق) لكل الصحفيين .. ولا بد أنهم فى وزارة الزراعة يبحثون عن أى طلب لى لاستيراد الأعشاب البحرية من (إيرلندا) .. »

ـ « لكن لا يمكن أن يكونوا عرفوا هذا بأنفسهم .. لا بد أن هناك من دسّ عليهم هذه المعلومات الخاطئة .. »

ـ « بالتأكيد .. لدىّ ثلاث فتيات قيلت لهن هذه المعلومات ، وهن يثرثرن بها فى كل مكان .. لن ينتهى المرح أبدًا .. »

قال لها :

ـ « اسمعى .. إننى أدعوك للعشاء فى (كلاريدج) فى الثامنة والنصف مساء .. فهل يناسبك هذا ؟

ـ الوقت مناسب لكن ليس المكان .. يجب ألا يربطوا بين اسمى واسمك .. فأنا امرأة مشبوهة فى الوقت الحالى .. يوجد مكان هادئ يُدعى (ألتونيا) فى شارع (شارلوت) .. لن نرى احدًا هناك .. »

ـ « ليكن .. (ألتونيا) الثامنة والنصف .. »

★ ★ ★

قال رئيس التحرير لـ (جيرالد) :

ـ « أراك راضيًا عن نفسك .. »

ـ « أنا كذلك .. »

ـ « أنا لست مثلك .. فقد تلقيت مكالمة عنيفة من محرر (الرادار) .. كان حانقًا جدًا وزفر كثيرًا من السباب .. »

قال (جيرالد) :

ـ « لن يدهشنى هذا .. لقد وجدت فتاة بريئة تعمل فى (نفرتيتى) .. تعشق (الكافيار) و(الشمبانيا) .. أخذتها إلى نادى (كواجلينو) لأريها حياة البذخ .. لكنى وجدتها تنظر مندهشة إلى مائدة مجاورة .. سألتها : ما المشكلة ؟

فقالت إن الفتاة على المائدة الأخرى من مؤسسة (نفرتيتى) .. بعد دقائق جاء رجل فحياها .. وعرفت على الفور أنه (فريدى رامار) محرر (الرادار) .. أدرت وجهى حتى لا يرانى ثم انسحبنا فى هدوء من المطعم .. ثم عرفت منها موضوع أعشاب البحر الأيرلندية هذا .. »

قال المحرر :

ـ لا بد أن الأمور فى (دبلين) بإيرلندا مرعبة الآن .. لا بد أن مئات السيارات تتجه لهناك مثلما كان الأمريكيون الأوائل فى عصر الاندفاع للذهب .. »

ـ « لقد اتصلت بى كل شركات التجميل ـ ما عدا (نفرتيتى) ـ بغية معرفة أكثر .. والمشكلة أن هناك دستة من أعشاب البحر فى (جالواى) .. أيها المقصود ؟ لو عرفت (الرادار) هذا النوع لأحرزت نقطة ضدنا .. »

★ ★ ★

قالت (ديانا) لـ (فرانسيس) :

ـ « سنجد كثيرًا من المتعة فى هذا الموضوع .. »

قال لها وهما يجلسان فى (ألتونيا) :

ـ « حقًا .. فيما عدا النسوة التعسات اللائى سيتوقعن المعجزات من أعشاب البحر الايرلندية هذه .. »

ـ « لا تقلق .. إن (المعجزات) كلمة مكررة كثيرًا فى المجلات النسائية .. ولا أحد يتوقع أن تعنى شيئًا .. سيفتش المنافسون كثيرًا وسط أعشاب البحر .. على حين تستخدم النساء كريم أعشاب البحر .. غسول أعشاب البحر .. يتناولن افطارًا من أعشاب البحر .. وسيجدون مقالات تدعم هذه الخرافة .. سيقول أحدهم إن دور أعشاب البحر فى حفظ الجمال هو معلومة قديمة .. وليست صورة (فينوس) الخارجة من البحر سوى ترديد لهذا الظن الذى أعيد إحياؤه(*) .. وهذا التخبط سيمنحنا فترة عامين .. وبعد قليل سيعرف هؤلاء أن (الحزاز) ليس له دور .. عندها يُذاع أن مؤسسة (نفرتيتى) تستعمل جهازًا للموجات فوق الصوتية ، يعالج ما تحت طبقات الجلد .. »

بعد فترة من الصمت قال لها بحذر :

ـ « أعتقد أن الصراحة واجبة فيما أنوى قوله ، وإلا كان الأمر خطرًا .. ثمة شىء ما يتعلق بزوجة ابنى .. »

ـ « هل ستقول إن (بول) أخبرها بالأمر ؟ »

(*) تتحدث عن لوحة شهيرة للرسام الإيطالى (بوتشيللى) .

- « نعم .. وقد أرغمتنى على أن أعطيها (الحزازين) .. ثم عادت لتخبر (بول) بذلك .. لكنه شكَ فى كلامها وأصر على أن يرى الجرح .. وكانت الضمادة موضوعة عليه بطريقة تختلف عن طريقتى فى التضميد .. وحين كشفها لم يشعر بوجود (الحزازين) تحت الجرح .. »

- « هل تعنى أنها فكت الغرز بعد ما وضعت أنت لها الدواء ؟ »

- نعم .. شخص ما جعلها تجلب له الدواء ، وخاط الجرح ثانية .. لا بد أنه وعدها بمعالجتها من جديد بعد ما يتم تحليل هذا الدواء .. »

- « وأين هى الآن ؟ »

- « حزمت ثيابها فى حقيبتين واختفت .. »

- « لو نجحوا فى الحصول على الدواء ، فما مدى ما سيعرفون عنه ؟ »

- « أقل مما يظنون .. ليس الأمر سهلاً .. لكن هذا سيضعهم على بداية الخط .. »

- « وما هى خطوتهم التالية ؟ »

- « سيفحصون قوائم وارداتنا بحثًا عن ضوء .. »

ثم أردف بعد قليل :

- « لو فشلوا سيحاولون سرقة السر .. ولربما اختطفوا أحدنا أو كلينا .. لقد فكرت فى هذا ، وإذا اختفيت أنا فلسوف يذاع السرّ تلقائيًا ..

أظنك قمت باحتياطات مماثلة ؟ »

هزت رأسها أن نعم ..

وتبادلا النظرات لبضع دقائق ...

★ ★ ★

الجزء الثالث

ـ ٩ ـ

قالت السكرتيرة لـ (ديانا) وهى تعبر المدخل إلى مكتبها :

ـ « إن مس (برندون) تريد أن تراكِ .. »

هزت (ديانا) رأسها موافقة ..

ـ « دعيها تأت بعد أن تنهى عملها .. »

ودخلت مكتبها لتجلس وسط الخطابات العديدة التى أعدتها لها السكرتيرة ..

وبعد ربع ساعة جاءت مس (برندون) ..

سألتها فى مرح :

ـ صباح الخير يا (لوسى) .. كيف تعمل الخدمات السرية الآن ؟ »

ـ بخير يا سيدتى .. لكنى اصطدمت بوجود مكاتب خدمات سرية أخرى ها هنا .. »

ـ « لا عليك يا عزيزتى .. توجد شبكات كثيرة فى الشركة الآن .. لكنى لا أريد أن تضيّعن الوقت فى أن تحقق كل واحدة فى الأخرى .. ماذا عندك ؟ »

قطبت مس (برندون) قائلة :

ـ لا أدرى كيف أبدأ .. كثير من الناس مهتمون .. هناك ذلك الرجل (مارلين) محرر (البرول) .. لقد عرض علىّ خمسين جنيهًا لو جلبت له عينة من العشب الذى نستعمله .. وعرفت كذلك أن الشرطة مهتمة بالأمر .. هناك مفتش يحقق فى الأمر اسمه (إيفرهاوس) .. وقد علمت أنه مختص بقضايا المخدرات أساسًا .. ومعه ملازم يُدعى (موين) .. »

ـ « ومن أيضًا ؟ »

ـ محرر من (الرادار) اسمه (فريدى رامار) ، وهو يحاول مع (بيثى) .. فتيات كثيرات صار لهن أصدقاء .. لقد خرج الجميع ليظفروا بسرّ هذا العشب .. »

ـ « حاولى أن تعرفى ما يبحث البوليس عنه .. فسيسرنى هذا .. »

ـ « سأعمل ما بوسعى يا مس (براكلى) .. »

واستدارت لترحل ، لكنْ (ديانا) أوقفتها بإشارة .. وراحت تنظر لها طويلاً مفكرة حتى أحمرّ وجه (برندون) ..

قالت (ديانا) :

- « إننى بحاجة إلى من أثق به .. وأنا أعرف عنك أكثر مما تتوقعين ، لهذا سأقدم لك عرضًا .. »

- ورفعت سماعة الهاتف لتقول :

- « لا مكالمات حتى أتصل بك يا (سارة) .. »

ووضعت السماعة ، وقالت :

- « والآن ..... »

وبدأت تتحدث ......

★ ★ ★

- ١٠ -

تحركت سيارة شرطة سوداء مارة بهما ، ثم توقفت لتقطع الطريق ، ومن النافذة خرجت يدٌ تلوح لهما كى يقفا بسيارتهما ..

قال (ريتشارد) فى حيرة :

- « ماذا بحق السماء ؟ »

وقالت (زيفانى) :

- « نحن لم نفعل أى شىء .. »

توقفا ووراءهما توقفت سيارة (فان) ليس عليها كتابة ، وانفتح الباب ليخرج منها رجل ، دنا منهما .. كان يحمل مسدسًا ..

- « هيا .. اخرجا ! »

وعلى جانب (زيفانى) كان هناك رجل آخر يحمل مسدسًا بدوره ، وقال :

- « هيا .. اركبا العربة الـ (فان) .. »

فتحت (زيفانى) الباب عاجزة عن قول شىء .. وتم اقتيادهما - ومسدس فى ظهر كل منهما - إلى

العربة الـ (فان) .. وسرعان ما انغلق الباب وتحركت العربة مبتعدة .. لقد تم كل شىء فى نصف دقيقة ..

★ ★ ★

كانت غرفة كبيرة مفروشة بأثاث عتيق ..

أما الرجل الجالس على المكتب المغطى بالجلد ، فقد أضاء المصباح كى يلتمع على عينى (زيفانى) ، ويظل هو فى الظلّ ..

كان (ريتشارد) يقف على يسار المكتب ، يداه مربوطتان خلف ظهره وشريط لاصق على فمه ..

قال الرجل الجالس :

ـ « لا توجد إساءة فى هذا يا مس (ساكسوفر) .. لو لم تتضايقى أريد إجابة على بعض المعلومات .. وسأكون مسرورًا لو أجبت على أسئلتى مباشرة .. والآن لقد أحرز أبوك كشفًا عظيمًا .. أعتقد أنك تعرفين ما أتكلم عنه .. »

قالت :

ـ « لقد أحرز أبى كشوفًا عظيمة كثيرة .. »

ضرب المكتب بيده اليسرى ، فكوّر أحد الزبانية

جوار (ريتشارد) يده ، ووجه لكمة قوية إلى معدة الأخير .. فأطلق آنّة وانحنى للأمام ..

قال الرجل :

ـ « قولى لى الكشف الذى أريده .. »

حاولت أن تتحرك .. لكن يدين قويتين أمسكتا بمعصميها وداس أحد الرجال على قدمها بغلظة ..

ضرب الرجل على المكتب مرة أخرى ، فانهالت لكمة قوية على وجه (ريتشارد) .. وقال :

ـ « ليست لدينا نيّة لإيذائك يا مس (ساكسوفر) .. لكننا لانبالى كثيرًا بما يحدث لصديقك هذا .. يجب أن تعرفى أن صمتك تجربة غير سارة له .. فإن أصررت سنضطر إلى إقناع أبيك .. سنرسل له خاتمك .. وإصبعك بداخله طبعًا .. سيجعله هذا متحمسًا للتعاون .. »

هزّت رأسها .. سمعت ضربة على يمينها فصرخت :

ـ « توقفوا ! »

ثم قالت فى لهفة :

ـ « تعنى (الحياة لفترة أطول) ؟ »

ـ « هذا أفضل .. إن الدواء مستخرج من ؟ أرجو ألا تقولى لى إنه من الأعشاب البحرية .. »

صمتت مترددة لحظة وهى تنظر ليده اليسرى .. ثم قالت :

- إنه من الحزاز .. »

- « هذا جيد .. أى نوع منه ؟ »

- « لا أعرف .. لا ! لا تؤذه ! أقسم إننى لا أعرف الاسم .. »

فكر قليلاً ثم قرر أن يصدقها .. لكن رجاله لم يصدقوها بعد ..

- « يجب أن تصدقنى .. أنا لا أعلم ! »

دوى صوت الضربات من جديد ، فلم تجرؤ على النظر ..

مدّ الرجل يده إلى الدرج فأخرج قطعة من الورق المقوى ، ثبتت عليها نماذج عدة من نباتات .. أنواع الحزاز بالدقة ..

- « لا أعرف .. أنا لم أره قط .. ربما سمعت لفظة (امبرفكتس) .. لكنى لست واثقة .. »

- « هناك مئات من الحزاز كلها (امبرفكتس) .. حسن .. سؤال آخر :

- من أين يحصل أبوك على الحزاز ؟ »

★ ★ ★

- « إنها الآن على ما يرام جسديًا .. لكنها مصابة بصدمة .. »

- قالت (ديانا) فى الهاتف وقد أدهشها ما قال (فرانسيس) :

- « يا للبائسة ! وماذا عن (ريتشارد) ؟ »

- « لقد ضربوه بعنف .. لكن لا كسور .. تقول (زيفانى) إنهم أعادوهما إلى السيارة الواقفة ، فاقتادتها إلى المستشفى .. لقد فقد (ريتشارد) بعض أسنانه لكن لا خطورة عليه .. أظن أنهم ضربوها أيضًا ، لكنها لا تريد أن تخبرنى .. »

- « يا للطفلة المسكينة ! ماذا قالت لهم ؟ »

- « كل ما تعرفه تقريبًا فيما عدا دورك .. »

- « وهل يعرفون من أين نحصل عليه ؟ »

- « أخشى أنهم يعرفون هذا الآن .. »

- « يا للخسارة ! ليتنى لم أخبرها بذلك .. »

ثم قالت بعد قليل :

- « لقد أرسلت خطابات لعملائى والصحافة من أجل لقاء مهم يوم الأربعاء .. »

ساد الصمت لبرهة .. فسألته :

- « هل ما زالت هناك ؟ »

- « نعم .. »

- « وما رأيك ؟ »

- « أرى من الخير ألا نخبرهم بشىء .. سينظرون لما تفعلين على أنه إعلان عن شركتك .. كونى حذرة من أجل نفسك .. »

- « لا تقلق علىّ فأنا أعرف ما أفعله .. »

- « لا أعتقد ذلك .. لكن الوقت متأخر الآن .. أرجو أن تكونى حذرة .. »

★ ★ ★

- ١١ -

صباح الثلاثاء اشترت (ديانا) بعض الصحف .. وراحت تطالعها .. لم يكن هناك شىء ذو بال فيها .. إن الصحف حساسة جدًا نحو ما يمكن أن يكون محاولة للاعلان المجانى ..

انطلقت سيارة الـ (رولز) نحو (دار هاوس) ..

كانت هناك فتاة واقفة وقد فتحت كبّود سيارتها تفحص شيئًا ما ، فلما رأت السيارة الـ (رولز) بدت عليها المفاجأة ..

سألتها (ديانا) عن مكان (ساكسوفر) فأخبرتها ، وهتفت بحسد :

- « يا لها من سيارة ! »

ثم تأملت (ديانا) وصاحت :

- « ولكن .. ألم أر صورتك فى (صنداى جادج) هذا الصباح ؟ أنت مس (براكلى) أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. وسأكون لك ممتنة لو ظل هذا سرًّا بيننا .. »



سألتها (ديانا) عن مكان (ساكسوفر) فأخبرتها ، وهتفت بحسد :ـ (يالها من سيارة) ..

ـ « لكن هل هذا الـ (أنتيجيرون) كما يقولون ؟ لو كان هذا فأعتقد أننى أسيطر على قواى العقلية أكثر منك ، برغم سيارتك الـ (رولز) .. »

مشت (ديانا) لتصعد سلمًا ثم تطرق الباب ..

فتح لها (فرانسيس) الباب فبدا مذهولاً .. ودخلت .. بدت لها الغرفة أصغر مما تتصور ..

قال لها فى حرج :

ـ « يا عزيزتى .. ليس الأمر أننى لست سعيدًا برؤيتك .. لكننا اتفقنا على ألا يربط الناس بيننا .. هل رآك أحد ؟ »

ـ « فتاة تصلح سيارتها بالخارج .. »

بدا مهتمًا .. وقال لها :

ـ « سأذهب لأراها وأطمئن إلى صمتها .. »

وغادر الغرفة .. ووقفت هى تتطلع إلى النافذة شاردة ..

بعد قليل عاد قائلاً :

ـ « كل شىء على ما يرام .. إنها فتاة طيبة .. كيميائية نشطة مثلك .. تعتبر (دار) مكان عمل لا مكتب زواج .. »

- « وهل حقًا تحسبنى كذلك ؟ »
- « نعم كنت من أفضل العاملين هنا .. »
ثم أحس بشىء فى لهجتها .. فتوقف وسألها :
- « ماذا تعنين ؟ »
لم تردّ وظلت عند النافذة ترمق الحديقة .. وقالت :
- « غريب أننى كنت أحسبنى سأكره (دار) .. لكنى سعيدة بأن أراها ثانية .. لقد عشت أتعس أيامى هنا وكنت أبكى كثيرًا .. »
- يا عزيزتى ! لا أفهم السبب .. »
- « لقد كنت صغيرة جدًا .. وعواطف الصغار قلقة لحوح .. ولم أفلح قط فى ألا أخفى عواطفى .. ولكن دعنا من هذا .... »
- « أظن أنك لم تجيئى ها هنا لتقولى ذلك .. »
- « جئت لأقول إننى سأكون مشغولة فى الفترة القادمة .. »
- « حقًا ستكونين .. وأعتقد أن كلمة (مشغولة) هى كلمة مهذبة ، لتصف نتيجة ركل عش الزنابير .. »

★ ★ ★

- ١٢ -

توالت عناوين الصحف المثيرة .. فى (ميرور) .. (جاردنر) .. (نيوز كرونيكل) .. (برول) .. (رادار) .. إلخ ...
وراحت (ديانا) تتأمل الصحف باسمة ، ثم رفعت سماعة الهاتف :
- « صباح الخير يا (سارة) .. »
- « صباح الخير مس (براكلى) .. أحسنت باستعمال خطك الخاصّ .. إن عاملة الهاتف ستجن من كثرة المكالمات .. كل جريدة وشركة تجميل تحاول الاتصال بك .. »
- « قولى لـ (ديكسون) أن يغلق أبواب الشركة ، فلا يسمح سوى للزبائن أو العاملين بالدخول .. وإذا اشتد الزحام فليطلب الشرطة .. واطلبى مس (برندون) حالاً .. »
جاء صوت مس (برندون) الرقيق ، فقالت لها :
- « اسمعى يا (لوسى) .. كنت أريد أن أعرف

حقًا ما يقول الناس عنّى .. أريد منك أن تنتقى ست أو خمس فتيات ذكيات ، وتكلفيهن بالذهاب إلى المقاهى .. إلى البارات .. إلى المغاسل حيث يثرثر الناس .. وحاولى معرفة ما يفكرون فيه .. وعودى فى الرابعة والنصف لتقدمى لى تقريرًا .. هل فهمت ؟ »

ـ « حسن يا مس (براكلى) .. »

ـ « سأدفع أربعة جنيهات لكل واحدة لتغطية النفقات .. »

ـ « حسن يا مس (براكلى) .. »

★ ★ ★

ـ « أريد أن أعرف رأيك فى سنى يا دكتور .. »

ـ « مدام .. لست ممن يتملقون المرضى أو يلعبون ألعاب التخمين معهم .. وما لم تكن معك صورة من شهادة ميلادك ، فعليك أن تقصدى (سومرست هاوس) حيث يستخرجون لك واحدة .. »

ـ « لكن الأخطاء تحدث .. قد تكون شهادة ميلادى ضاعت أو أخطأ أحدهم فى تدوينها .. »

ـ « هذا قد يحدث .. لكنه ليس معتادًا .. »

ـ « لكنى أريد التأكد .. »

ـ « هل هذه لعبة ما يا مدام ؟ لقد مارست المهنة خمسة وثلاثين عامًا ، لكنى لم أر قط فى يوم واحد خمس سيدات يسألننى عن عمرهن .. »

ـ « لكنها .. مصادفة .. »

ـ « ثم إن تحديد السن مستحيل .. أفضل ما بوسعى هو أن أعطى رقمًا تقريبيًا ، لا يفضل تقدير الرجل العادى فى شىء .. »

ـ « وماذا فعلت للأخريات ؟ »

ـ « أعطيتهن رقمًا تقريبيًا .. »

ـ « إذن أعطنى الشىء ذاته .. أعنى .. إن هذا مهم لى يا دكتور .. »

★ ★ ★

ـ « (سبيلر) .. (سبيلر) ! أين أنت !؟ »

ـ « هنا يا سيد (جون) .. »

ـ « حان الوقت .. هل سمعت عن موضوع الـ (أنتيجيرون) هذا ؟ »

ـ « من بعض الصحف يا سير (جون) .. »

ـ « إن زوجتى تؤمن به بشدة .. وتذهب إلى هذه الـ (نفرتيتى) منذ أعوام .. وأنا ميال لتصديقها .. تبدو كأنها لم تشخ منذ تزوجنا .. »

ـ « إن الليدى تحافظ على نفسها .. »

ـ « اللعنة لا ! هل ترى هذه الصورة ؟ إنها تمثلها منذ تسعة أعوام .. كأنها هى لم تتغير .. »

ـ « فعلاً يا سير (جون) .. »

ـ « أريد أن تجد مديرة المكان ـ اسمها (براكلى) ـ ورتّب دورة علاجية .. وإذا لم تجد مكانا شاغرًا أضف خمسة وعشرين بالمائة فوق السعر المعتاد للخدمة السريعة .. »

ـ « لكنى ظننت أن الليدى تأخذ دورة بالفعل .. »

ـ « ليس لها بحق السماء .. بل لى ! »

ـ « آه .. أرى .. أرى يا سير (جون) .. »

★ ★ ★

الملكة والأنتيجيرون !

إن جريدة (إيفننج فلاج) لتشعر بأنها تعبر عن رأى أكثر القراء ، حين ترى أن الأجدر بالتمتع بمزايا العِلم البريطانى هى أهم سيدة فى البلاد : ملكتنا .

★ ★ ★

هنا راديو (موسكو) :

ـ بخصوص بعض التقارير فى الإذاعة البريطانية ، صرحت جريدة (أزفستيا) السوفييتية بالتالى :

ـ إن ما ذكرته الصحف البريطانية عن اكتشاف دواء يزيد معدلات العمر ، لا يثير أدنى دهشة لدى مواطنى الاتحاد السوفييتى المستنيرين ، لأنهم يعلمون أن رائد هذا المجال هو بطل الاتحاد السوفييتى الرفيق (أ . ب . كريستانوفتش) ، فى مركز الشيخوخة بـ (كومسك) .

إن العلماء فى (روسيا) يعتقدون أن أبحاث (كريستانوفتش) قد سرقت بيد إمبريالية ، وخضعت لمبالغات تحركها المنفعة الشخصية .

إن العلم السوفييتى ما زال يقود العالم نحو النور .

★ ★ ★

خرجت (جانيت) إلى الشرفة وصاحت :

ـ آه يا (ديانا) ! يا لها من حديقة رائعة ! »

قالت (ديانا) وقد انحنت على النباتات ، وهى تخلع قفازيها الأبيضين :

ـ « إننى أحبها كثيرًا .. بالمناسبة أنا مسرورة لحضورك .. »

ـ « يا عزيزتى لولا التصريح الذى معى لما استطعت الدنو .. »

دنت منها (ديانا) .. وسألتها :

ـ « ما هى آخر الأخبار ؟ »

ـ « ضوضاء سياسية .. وصحفية .. وضوضاء فى الاتحادات النسائية .. »

ـ « وغير ذلك ؟ »

ـ « يتحدثون عن مشكلة التعامل مع الصين .. »

ـ « الصين ؟ »

ـ « لايجب أن تظهرى الدهشة أمامى .. »

ـ « لكننى مندهشة فعلاً .. »

وتذكرت مقابلة (ريتشارد) و (زيفانى) لخاطفيهم .. لقد عرف الخاطفون مصدر الحزَاز .. لا بد أن الأمر تسرَب إليهم ومنهم ..

قالت (جانيت) وعيناها لا تفارقان (ديانا) :

ـ « يقولون إن الصين هى المصدر الوحيد للحزَاز الذى نأخذ منه (الأنتيجيرون) .. وحين يعرف الصينيون ذلك سيحتفظون بالحزَاز كله لأنفسهم .. ثم إن الروس سيعرفون بدورهم .. إن شمال (منشوريا) قريب جدًا من الحدود الروسية .. »

قالت (ديانا) متظاهرة باللامبالاة :

ـ « على كل حال ليس هذا هو المصدر الوحيد .. »

ـ « ليكن .. كونى حذرة كما تريدين .. أنا أقول لك فقط ما يقال .. يقولون كذلك إن الحزَاز يتم جلبه من الصين .. ويتم تجهيزه لك فى (دار هاوس) .. »

هنا صاحت (ديانا) :

ـ « هذا كذب ! أنا أستورد الحزَاز وأجهِّزه بنفسى .. لا دور لـ (دار) فى الموضوع .. هذه (فبركة) كاملة .. »

ـ « أنا لا (أفبرك) يا عزيزتى .. »

ـ « نعم .. لكن بين كل الأشياء الغبية التى تقال ..... انتظرى هنا لحظة .. »

وخرجت إلى الحديقة دقيقتين لتفكر .. ثم عادت لتقول لها :

ـ « (جانيت) .. أريد أن أذيع كلمة .. ربما فى وقت ما مساء الأحد ..

أحتاج إلى عشر دقائق لا أكثر .. أريد أن أجيب عن الأسئلة التى لم أجبها قط عن الـ (أنتيجيرون) .. هل هذا ممكن ؟ »

ابتسمت (جانيت) وقالت :

ـ « تحت أى ظروف يبدو أن امتناع الإذاعة عن قبول كلمتك أمر غير محتمل .. لكن ماذا ستقولين بالضبط ؟ »

ـ « لا تقلقى ورتبى لى الأمر .. »

ـ « لا أفهم .. »

ـ « سيكون كل شيء على ما يُرام .. »

★ ★ ★

سيارة توقفت على جانب الطريق ، وأطفأت أضواءها .

نزل منها رجال لم تتأقلم عيونهم بعد على الظلام ..

قال كبيرهم بصوت هادئ لكنه عال بما يكفى ليسمعوه :

ـ « كل مستعد ؟ هل أدواتكم معكم ؟ حسن .. تذكروا الآتى :

صوت بومة واحد معناه أن (جينى) قد قطع خطوط الهاتف ..

ثم انتظروا .. لو رأيتم أحدًا تعاملوا معه لتتأكدوا من أنه لن يطلب النجدة .. ثلاثة أصوات لبومة : أنهوا مهمتكم .. ثلاثة أصوات .. الجميع يفهم ؟ حسن .. تذكروا خطاكم جيدًا ، فلسوف يعود كل منكم وحيدًا فى الظلام .. ونحن لن ننتظر المتعثرين .. »

★ ★ ★

ـ ١٣ ـ

صحت (ديانا) على رنين الهاتف جوارها :

ـ « من ؟ »

جاء صوت العاملة يقول :

ـ « صباح الخير يا مس (براكلى) .. معذرة .. لكن هناك مكالمة من مس (ساكسوفر) .. وهى فى القائمة .. تقول إن الأمر مهم .. »

نهضت (ديانا) وقالت :

ـ « نعم .. دعينى أكلمها .. »

جاء صوت (زيفانى) .. فسألتها :

ـ « ماذا هناك ؟ »

ـ « إنها (دار) يا (ديانا) .. لقد احترقت كلها ! وقد أخذوا أبى إلى المستشفى .. »

وثب قلب (ديانا) متألمًا ، واعتصرت السماعة متسائلة :

ـ آه (زيفى) ! ماذا حدث ؟ »

ـ « كلنا على ما يرام .. لم يصب أبى إصابة بالغة ..

كان ينام فى الشقة كما تعلمين ، وصحا على الحريق فوثب من النافذة .. بضع سحجات .. »

ـ « الحمد الله ! ولكن ماذا حدث من جديد ؟ »

ـ « لسنا متأكدين .. كأنها غارة قام بها حشد من الناس حاصروا المكان فجأة .. رجل يقول إنه كان متيقظا ثم سمع صوت زجاج يتهشم .. لا بد أنهم رموا زجاجات مشتعلة عبر النوافذ .. كلا .. لم تحو (بترولا) وإلا لكان أقل شراسة مما حدث .. لم تعمل أجهزة الهاتف .. لهذا أسرع (أوستين) بسيارته بحثًا عن غوث ..

« اصطدم بسلك ممدود عبر الطريق ، وتهشمت سيارته .. ونقل المسكين إلى المستشفى أيضًا .. ضلوع كثيرًا مهشمة ..

« أما الحارس العجوز فقد وجدوا جثته فى الاسطبل .. البائس ! مات من ضربة واحدة .. لحسن الحظ لم يتألم كثيرًا ..

« لقد ذهب كل شىء يا (ديانا) : المنزل ـ المعامل ـ المخازن .. كل شىء .. وانتهى الأمر سريعًا .. »

ـ « الحمد لله على كل شىء .. هل وجد البوليس خيطًا ما ؟ »

ـ « لا أعتقد .. يقول إن (لديهم أسبابًا ليعتقدوا) أن هناك عصابة جاءت من مكان ما فى سيارة - (لورى) .. (أوستين) يقول إنهم عباقرة .. »

ـ « أبلغى أباك بأفضل تحياتى .. »

ـ « بالمناسبة يا (ديانا) .. ماذا عن الكلمة التى ستلقينها فى الإذاعة ؟ هل هذا حقيقى ؟ »

ـ « نعم .. من أين سمعتِ به ؟ »

ـ « لا لقد نوهوا عنه قبل وبعد نشرة أخبار الصباح .. ماذا ستقولين لهم ؟ »

ـ « كل شىء يا (زيفانى) .. لو لم أعلنه فسأختنق به .. »

ـ « وأبى ؟ »

ـ « يمكنك سؤاله لكنه لن يعترض .. أنا واثقة من هذا .. »

★ ★ ★

انفتحت أبواب المصعد ، وخرجت مجموعة صغيرة .. (ديانا) فى المقدمة ترتدى زيًا مسائيًا فاتح اللون ، وخلفها (لوسى برندون) متأنقة فى شىء من البهرجة .. والأخرى (سارة) ترتدى ثوبًا فظيعًا من الأزرق القاتم .. وفى النهاية (أوتللى) وصيفة (ديانا) ..

تقدم رئيس الحمالين نحوها وقال :

- « هناك زحام كثير فى الخارج يا مس (براكلى) .. »

نظرت (ديانا) عبر زجاج الباب ، لترى نحو مائة شخص فى الخارج أكثرهم من النساء .. أما الرجال فكان بينهم عدد يحمل آلات التصوير الصحفية ..

عبر الملازم الذى يحرسها الممر ، وأشار للجمع الواقف كى يفسح الطريق .. فتراجع الناس بعد تردد صانعين ممرًا ضيقًا ..

قالت مس (برندون) :

- « الحمد لله على أننا نلعب دور الملكات بشكل مؤقت .. تخيلى أن الملكة تعيش فى هذا الجحيم طيلة حياتها .. »

نظر الملازم للجمع نظرة مهددة ، كأنما يتحدى أحدهم أن يدنو ثانية .. ثم اتجه نحو السيارة الـ (رولزرويس) ليفتح بابها .

اتجهت السيدات الثلاث إلى السيارة ..

وهنا سمعوا صوتًا يقول :

- « فى الأربعين ! تبدو كفتاة .. أليس كذلك ؟ »

والتمعت فلاشات أجهزة التصوير ..

هنا دوت ثلاث انفجارات داوية ..

تأرجحت (ديانا) .. اعتصرت جانبها الأيسر .. ثم ظهر قفازها الأبيض ملطخًا بالدم .. بقعة حمراء على جانبها .. تراجعت للوراء ثم سقطت على الأرض ..

واصل المصورون التقاط صورهم فى لهفة ..

جرى الملازم عبر الدرجات ، على حين سمع من يقول :

- « لا تحركوها ! »

كان قائل هذا رجلاً صغير السن يرتدى عوينات من العاج .. وأردف :

- « أنا طبيب ! إن تحريكها قد يؤذيها .. اطلبوا الإسعاف .. »

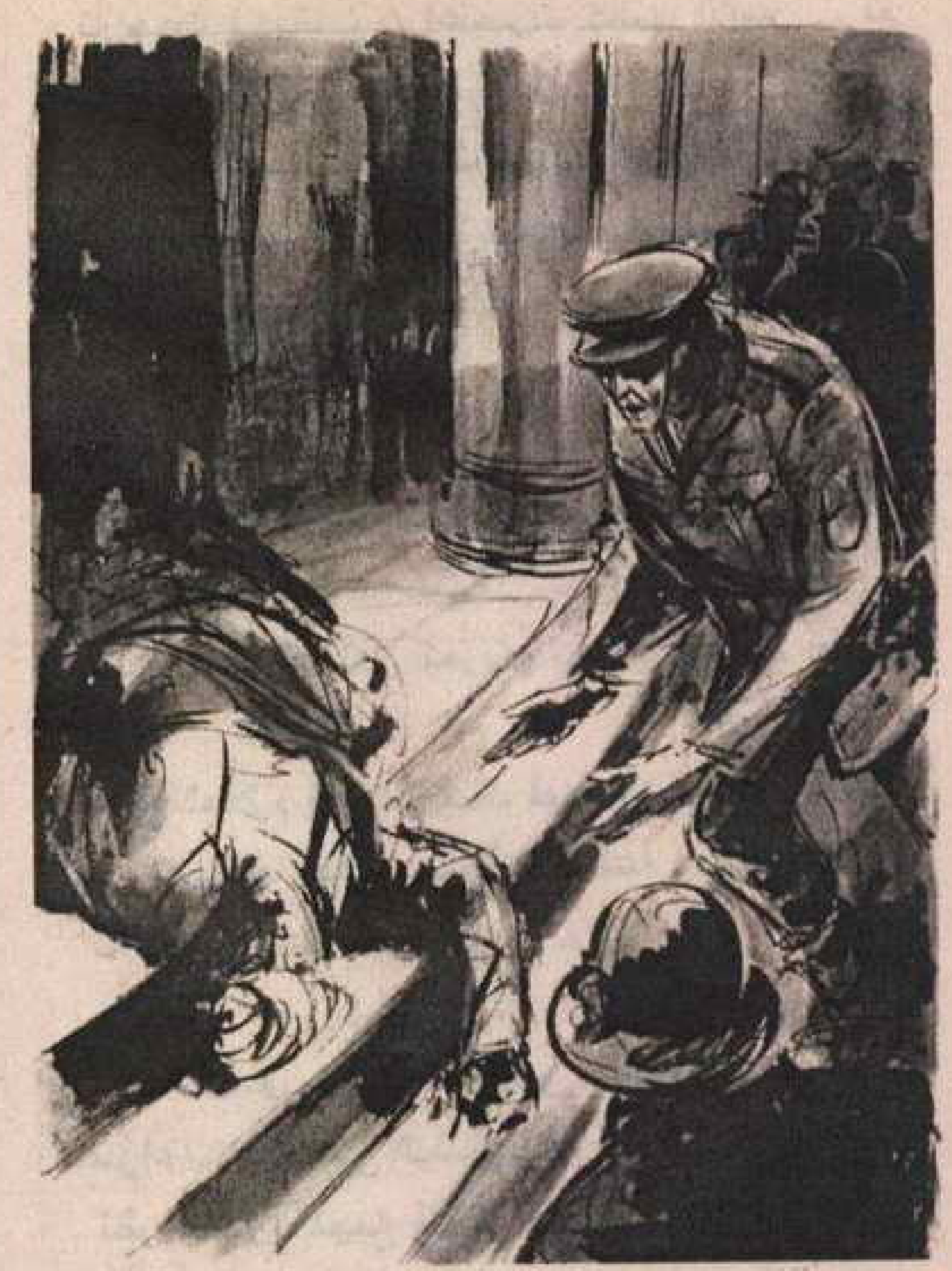
هرع الملازم إلى الهاتف ، فوجد أن (أوتللى) قد طلبت الإسعاف فعلاً ووضعت السماعة وسألته :

- « هل قبضتم عليه ؟ »

- « من ؟ »

- « الفاعل .. شاب يرتدى معطفًا ويعتمر قبعة خضراء .. كان على اليسار .. »

نظر الملازم للجمع فلم ير أية بؤرة للحركة .. لقد فرّ الرجل ..



جرى الملازم عبر الدرجات ، على حين سمع من يقول :
ـ (لا تحركوها !) . .

أما الطبيب فرفع رأسه حيث جثا جوار (ديانا) وتساءل متوترًا :

ـ « ألن تبعدو هذا الجمع اللعين ؟ »

هنا انفتحت عينا (ديانا) .. وحركت شفتيها .. ثم أغمضتهما ثانية .. قطب الطبيب جبينه وهمس :

ـ « تلك الاسعاف ! »

هنا دوى جرس السيارة ، التى وقفت خلف السيارة الـ (رولز) .. وسرعان ما خرج رجلان ليحملا (ديانا) على محفة ..

وانطلقوا نحو المستشفى ..

★ ★ ★

فى التاسعة والربع أعلن المذياع :

ـ « نعتذر لأن ترتيبات برامجنا لن تتم كما هو مخطَط لها ..

إن مس (براكلى) التى كانت ستحدثكم عن الـ (أنتيجيرون) قد هوجمت فى أثناء ذهابها إلى محطة الإذاعة .. أطلق مهاجمها ثلاث طلقات ، وتوفيت فى الإسعاف فى أثناء نقلها للمستشفى .. »



بعد ظهر الأحد صار الجو نقيًا ، تاركًا رصيف ميدان (ترافلجار) رطبًا بفعل ندى الصباح .. وبدأ القوم يفدون .. وجاءت فرقة الجند بزيها المميز يجرب أفرادها آلاتهم الموسيقية ، وحولهم وقف الفضوليون ومن يطلبون تسلية لبعد الظهر ..

تقدم رجل قصير القامة يحرسه عدد من مفسحى الطريق .. راح يبتسم ويلوح بذراعيه ، وصافح عددًا كبيرًا ..

وقال فى مكبر الصوت :

ـ « الـ (أنتيجيرون) أقذر سلاح ضد الطبقة العاملة .. القنبلة الموجهة التى تركوها تقع فوق العمال .. إن من يعيشون حياة الترف والثراء سعداء بالـ (أنتيجيرون) لأنه يعنى أعوامًا أطول من الترف والثراء .. لكن ماذا عنا نحن العمال ؟ نحن من ننتج لهم الراحة والرفاهية .. إنه يعنى أن نعيش ثلاثة أعمار .. ولو عشت أنا ثلاثة أعمار فأين يجد أبنائى العمل ؟ إن هذا يعنى جيلين من العاطلين .. وسيؤدى هذا إلى انخفاض رواتبكم .. »

ـ وعلى الطرف الشمالى من الميدان ، توقفت سيارة

عند المتحف القومى ، وخرجت منها مكبرات صوت عملاقة تصيح :

ـ « قتلة ! جبناء ! سفاحو النساء ! »

توقف الخطيب الأول وقد فقد خيط الكلام ، ثم عاد يقول :

ـ « جيلان .... »

لكن صوت الآخر كان عاليًا حتى إن صوت الأول لم يعد مسموعًا ..

ـ « أنتم فقط تغتالون الأجساد ، لكن الأفكار تعيش .. لقد قتلتم (ديانا براكلى) بسبب أبحاثها .. لكنكم لن تقتلوا الأبحاث ذاتها .. »

ونظر كل من فى الميدان إلى السيارة الـ (فان) ..

ـ « لقد جلبت لنا الحياة فكافأناها بالموت .. »

ـ كان البوليس قد وصل إلى السيارة ، وفتحوا بابها على حين استمر الصوت :

ـ « ماذا تعرفون عن الحياة يا جبناء ؟ يا من تهابون الحياة إلى درجة تدميرها ! »

كان رجل شرطة قد انتزع السائق من العربة ، وركب مكانه وراح يقود العربة مبتعدًا .. لقد كان الصوت يأتى باللاسلكى ..

فما إن هدأت الضوضاء حتى استعد الخطيب الأول لمواصلة كلامه شاعرًا بالراحة .. فتح فاه ، وهنا دوى صوت عال لامرأة هذه المرة تتحدث من ورائه :

ـ « لا تفرحوا بنجاحكم فى قتل فرد واحد .. فلن تقتلونا .. نحن نعرفكم .. قابلناكم من قبل .. أنتم (اللودايت)(*) .. تدعون إلى هدم الآلات ، والآن تريدون هدم صانعيها أيضًا !!

هرع مزيد من رجال الشرطة نحو العربة الثانية وابتعدوا بها .. ثم عادوا ينتظرون العربة الثالثة .. وسرعان ما ظهرت فأخذوها بعيدًا ..

ونجحوا فى تعطيل العربة الرابعة قبل أن تقول سوى عبارة : (تذكروا ديانا براكلى ، التى استشهدت بقوى الغباء والأنانية) ..

لم تظهر سيارة خامسة .. لذا التقط الخطيب أنفاسه ..

هنا ظهر زحام آخر خلف النافورات يغنى بإيقاع متعال :

(*) اللودايت : هم مجموعة من العمال كانوا ينادون بتحطيم الآلات ـ فى عهد الثورة الصناعية ـ بدعوى أنها ستجعلهم يفقدون أعمالهم ..

ـ قتلة .. جبناء .. سفاحو نساء ! »

تردد الجمهور للحظة .. وعلى الفور ـ دون تفكير ـ تحرك الحشد قاصدًا الحشد الآخر .. حاول رجال الشرطة أن يفصلوا بين الحشدين .. ثم ظهر (الكونستابلات) على خيولهم ، التى تصدم حوافرها الأرض فينبعث منها الشرر ..

★ ★ ★

انتهت الجنازة يوم الأربعاء ...

وتدريجيًا بدأ زحام يتجمع فى ميدان (ترافلجار) ..

وفى السابعة مساءً ظهرت صور (ديانا) .. وملصقات تحمل شعار (ر.ح.ج) أى (رابطة الحياة الجديدة) .. وظهرت راية كبيرة عليها :

(فى ذكرى ديانا براكلى) التى كانت الحياة مهنتها ، فصار الموت جزاءها ..

وبدأ الزحام يتزايد ويعطل المرور ..

وراح يتدفق بين السيارات المعطلة والحافلات ، حتى مزق (كردون) الشرطة .. وتحطم (الكردون) أخيرًا وتدفق الحشد ..

كانوا يغنون :

جسدها فى القبر ..
لكن عملها سيدوم !
وتعالى صوت الغناء أكثر فأكثر :
- اقتلونا كما قتلتموها ..
لكن عملها سيدوم !
وتدفق الحشد إلى ميدان البرلمان .. وصاح صائح فى مكبر صوت :
- « نبغى الـ (أنتى - جى) ! »
وكان له ايقاع قوى ، فالتقطه القوم هتافًا وراحوا يرددونه فى كل صوب :
- « نبغى الـ (أنتى جى) !
نبغى الـ (أنتى - جى) ! »

★ ★ ★

- « كما عرف مستمعو آخر نشراتنا ، فقد ألقى رئيس الوزراء خطابًا أمام المجلس أمس عن الـ (أنتيجيرون) . »
« إن الوزارة قد أولت اهتمامًا هائلاً لهذا الموضوع ، وإن كان إبداء رأيها للجمهور قد تأخر ، فهذا لحرصها على عدم إثارة آمال كاذبة . »

« لكننا وصلنا مرحلة يمكن أن نصارح الناس فيها بالحقائق . إن هذا الكشف يدل على تقدم العلم فى (بريطانيا) .. لكن اكتشاف شىء عظيم لا يدل بالضرورة على وفرة هذا الشىء .. ولعلنا نذكر أن (الألومنيوم) عند اكتشافه كان أغلى من (البلاتين) وأندر . »
« إننا نجد الـ (أنتيجيرون) بعسر بالغ ، من نوع نادر من (الحزّاز) ، وللأسف لا يجد العلماء طريقة أخرى حاليًا . »
« إن الحكومة تدعم البحث العلمى فى هذا الصدد بعشرة ملايين جنيه ، وهى واثقة من أن العقول البريطانية ستجد مخزونًا كافيًا من الحزّاز يكفى كل رجل وامرأة فى البلاد .. »

★ ★ ★

ـ ١٤ ـ

أوقف (فرانسيس ساكسوفر) سيارته ..

وعلى بوابة المزرعة استطاع أن يرى عبارة (مزرعة جلين) ..

كان بوسعه من هنا أن يرى المنزل .. المنزل المريح اللائق على المكان ، المبنى بالحجارة الرمادية ربما منذ ثلاثة قرون ..

كان يطلّ على البحيرة ، وله حديقة صغيرة جميلة ..

كان هناك مدخنتان يخرج الدخان الأزرق من إحداهما ..

خرج من السيارة ، وتقدم نحو المنزل ..

أثار شىء ما عند قدميه اهتمامه .. انحنى ليلتقطه .. وتأمله بوجه معبّر ، اختلج ركن فمه .. وترك قطعة (الحزّاز) تسقط على الأرض ..

فتحت فتاة ريفية الباب فسألها عن مسز (إنجلز) .. قالت :

ـ « إنها فى الجرن يا سيدى ، ما الاسم الذى أقوله لها ؟ »

ـ « قولى : إننى من مصلحة التعداد .. »

وأدخلته لغرفة جلوس مريحة ، على جدرانها صور زهور جميلة ..

سمع الباب يفتح خلفه ، وصوتًا مألوفًا يقول :

ـ « صباح الخير .. »

استدار نحوها .. فشحبتْ وتأرجحت .. وهتفت :

ـ « أوه ! كان هذا سخيفًا .. إننى سأبكى .. ليس البكاء من عاداتى .. ولا أحد يجعلنى أبكى سواك ! »

ـ وبكت (ديانا) لمدة عشر دقائق ..

فلما هدأت سألته :

ـ « ولكن كيف عرفت ؟ »

ـ « يا عزيزتى .. أنا لم أولد أمس .. كانت مسرحيتك رائعة .. لكن زيارتك المفاجئة لـ (دار) .. أسلوبك .. اختيارك للكلمات .. وكان من العسير أن أعرف أن مسز (إنجلز) هى أنت .. لكنى عرفت أن هذا كان اسمًا لك فى فترة من حياتك .. »

ـ « لم يكن عسيرًا أن ألعب دورها .. لأننى أنا هى بالفعل .. »

نظر لها مشدوها للحظة .. وقال :

ـ « لم أفكر بهذا .. قلت إنك غير متزوجة .. »

ـ « يجب أن أقول ها هنا إننى لا أفهم العادة السارية : أن تظل الزوجة تحمل اسم زوجها حتى بعد طلاقها منه كان هذا منذ زمن بعيد .. كنت صغيرة .. كنت مصدومة .. كنت فقدت ما أتمناه .. لهذا بحثت عن أسلوب جديد للحياة .. لم يكن زواجًا ذا أساس .. كان زواجًا قصيرًا تعسًا .. ولم أحاول أن أجربه ثانية .. »

ـ « وهل أنت سعيدة الآن ؟ »

ـ « أعرف أنك لا توافق على ما فعلته أنا .. كثيرون سيلعنوننى لو عرفوا ما قمت به .. لكنى كنت مضطرة .. ثمة أشياء مهمة وضرورية وأنا فخور بها .. كان وجودى كفيلاً بإسالة دماء كثيرة ، والدنو مما يشبه الحرب الأهلية .. لكن اختفائى قد أزال هذا الخطر .. »

ثم هتفت :

ـ « أنت مصدوم .. لكن لا كصدمة فتاة صغيرة فى عواطفها .. فتاة تجد .. أو تحسب أنها تجد ــ رباه لا أستطيع التعبير ! ــ أن مركز وجودها قد غزاه رجل هو .. هل ستجعلنى أقولها يا (فرانسيس) ؟ »

★ ★ ★

كانت الشمس تغرب وراء الجبال ، راسمة الظلال على البحيرة ..

وفى المنزل كان (فرانسيس) و(ديانا) جالسين على الأريكة يقرران حياتهما القادمة .. وكانا قد اتخذا أهم القرارات ..

سألته :

ـ « هل لديك مخزون من (الحزازين) ؟ »

ـ « ما يكفى لإبقائى و (زيفانى) و(بول) و(ريتشارد) لفترة .. وأنت ؟ »

ـ « عندى قليل يكفى (سارة) و(لوسى) .. ثم هناك (جانيت) و(ليديا) اللتان لن أتخلى عنهما .. وعلىّ أن أجد حلا لهما .. »

ـ « إذن سيعرف كل هؤلاء أنك ما زلت حية .. »

ـ « سيعرفون عاجلاً أو آجلاً .. »

ـ « ولو لم تكن هناك نتائج بحثية خلال ثلاث سنوات ـ ما دام الأمريكان والروس يعملون فى الموضوع ـ أعتقد أنك ستجدين إمدادًا جديدًا .. »

ـ « هل لاحظت الحديقة ؟ نعم .. لقد بدأ ينمو هنا بكميات ضئيلة جدًا .. »

راح يرمق اللهب فى المدفأة .. وقال :

- « ليس من الحكمة أن تعودى للظهور ببساطة بعد هذا .. فالسماء وحدها تعرف ما سيحدث .. لن نستطيع العودة لإحياء (دار) .. أى أننا يجب أن نغادر البلاد .. »

- « قد رتبت كل شىء .. سنبقى ها هنا .. ستتزوج أنت مسز (إنجلز) فى صمت .. وسيعرف الناس فيما بعد أن مسز (إنجلز) هى أخت (ديانا) الصغرى .. وستعيش ها هنا بضعة أعوام .. إن المكان متسع ها هنا .. وعندها يمكنك أن تعود إلى نجوميتك السابقة فى المجتمع .. »

- « بالمناسبة .. لقد أطلقوا على (ديانا) ثلاث رصاصات .. فكيف ؟ »

- « فشنك يا عزيزى .. والدم هو حيلة صغيرة يستعملونها فى التلفزيون لتلطيخ الثياب بالحبر الأحمر .. »

- « قلت إننى سأعود لنجوميتى .. أعتقد أننى لم أكن نجمًا قط .. »

- « بل أنت نجم .. نجم إلى حدٍ مفزع .. لكنى قلقة من فكرة أن نبقى ها هنا ثلاثمائة عام دون أن نفعل شيئًا .. إن لدىَ معملاً جيدًا فى الجرن يناسبنا .. »

ونهضت وأمسكت بمعصمه قائلة :

- « عليك أن تبدأ محاولة تحديد التركيب الجزيئى للـ (أنتيجيرون) .. فقط تعال معى يا عزيزى .. وسأريك كل شىء .. »

جون ويندهام

لندن - ١٩٦٠

★ ★ ★

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

الحزاز

26

طبق من اللّبن يأبى أن يفسد .. باحثة شابة قوية الملاحظة .. عالم كيمياء حيوية مصمم على الكتمان .. صحفى متحمس .. زوجة ثرثارة .. مادة (أنتيچيرون) المستخلصة من الحزّاز .. هزيمة الشيخوخة والموت .. هذه هى مفاتيح اللعبة كلها .. بقى أن نجد الشجاعة كى نلعبها !

الثمن فى مصر ١٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
مطار ٧٧

